الذين عادوا إلى السماء

أنيس منصور

دار الشروق

الذين عادوا
الى السماء

الطبعة الثامنة
١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م
الطبعة التاسعة
١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م
الطبعة العاشرة
١٤١٠هـ - ١٩٩٠م
الطبعة الحادية عشرة
١٤١٣هـ - ١٩٩٢م
الطبعة الثانية عشرة
١٤١٦هـ - ١٩٩٥م
الطبعة الثالثة عشرة
١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م
الطبعة الرابعة عشرة
١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م
الطبعة الخامسة عشرة
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى
رابعة العدوية - مدينة نصر - ص . ب : ٣٣ البانوراما
تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
البريد الإلكتروني: email: dar@shorouk.com

أنيس منصور

الذين عادوا الى السماء

دار الشروق

مقـــدمـــة

كنا فوق السحاب ، فى طريقنا إلى هيوستن حيث تنطلق سفن الفضاء الأمريكية . .

ومن الطائرة كانت تحتنا صحراء حمراء جرداء . . تماما مثل أرض المريخ . . ومن حين إلى حين نجد شيئا صغيرا لامعا يجرى . . إنها إحدى السيارات . . واحدة من ملايين السيارات . . وليس من ذلك شىء على سطح المريخ أو أى كوكب آخر نعرفه . . ثم أشجار خضراء . . حقول وغابات . . وسألت جارى و كان عالم الفضاء المصرى د . فاروق الباز : قل لى :

قال : ماذا ؟ .

ـ ما رأيك لو أننى تكلمت و ظللت أنت تسمع ؟

ـ لا مانع عندى . والله لقد تعبت اليوم من الكلام . .

ـ إننى أريد فقط أن أستعرض معلوماتى ، وعليك أن تقوم بتصحيح ما أقول . . تصحيح مسارى ، كما تفعلون فى سفن الفضاء عندما تنطلق إلى القمر أو أى كوكب آخر

ـ موافق تماما . .

واعتدلت كأى تلميذ صغير أمام ناظر مدرسة ، أقول : لقد صدر لى كتاب اسمه « الذين هبطوا من السماء » . وهو أول كتاب باللغة العربية يتناول

موضوعا هاما ، وهو أن سكان الكواكب الأخرى جاءوا إلى هذه الأرض . وتركوا آثارهم هنا . . وجئنا نحن بعد عشرات الألوف من السنين ، واكتشفنا هذه الحقيقة .

ـ تمام .

ـ ولم نتمكن من معرفة هذه الحقيقة ، إلا بعد أن دخلنا عصر الفضاء . . أي عندما أطلقنا الأقمار الصناعية . . وجعلناها تدور حول الأرض . . وصورنا الأرض من فوق . . وصورنا الكواكب الأخرى والشمس والنجوم من فوق أيضا . . ثم جعلنا الأقمار الصناعية محطات فضائية ، وأطلقنا منها سفنا أخرى إلى القمر ، وأنزلناها عليه . . ثم جعلنا سفنا أخرى قواعد لإطلاق سفن إلى الأرض ، وهكذا . . وسوف يصبح القمر فى يوم من الأيام مثل قاعدة هيوستون هذه .

ـ تمام . .

ـ ورجعنا إلى كل الكتب القديمة التى تحدثت عن أشياء غريبة لم نكن نفهمها . . ثم أعدنا قراءة كتب الأساطير القديمة . وإذا بنا نكتشف معانى جديدة لها . .

ـ تمام . .

ـ مثلا كتاب « التوراة » وبالذات سفر حزقيال . . ذلك النبى اليهودى الذى وصف سفينة فضاء نزلت أمامه بالقرب من بغداد قبل أن نعرف سفن الفضاء بألوف السنين . . وعندما فسر العلماء ما رآه حزقيال هذا ، قالوا إنها نبوءة . . أى أن الذى رآه سوف يحدث بعد ذلك . . ولكن عندما دخلنا عصر الفضاء أدركنا أن الذى رآه قد حدث فعلا . . وأن سفينة هبطت أمامه . .

ونزل منها رواد الفضاء بخوذهم وملابسهم اللامعة . . وأنه قد وصفهم وصفًا دقيقًا جدًا . .

ـ تمام . . حتى الآن كلامك مضبوط . .

ـ وإذا رجعنا إلى الملحمة البابلية الشهيرة باسم ملحمة «قلقامش» ، نجد أنه ركب إحدى سفن الفضاء . . وإذا أعدنا قراءة سفر النبى أخنوخ نجد أنه ركب إحدى سفن الفضاء وانتقل من كوكب إلى كوكب . . إلى سبعة كواكب . . وكذلك الكتب الهندية القديمة قد تحدثت عن سفن فضاء عمودية . . مثل الهليوكوبتر ترتفع بمحركاتها النفاثة إلى أعلى . . وإذا قرأنا عن الطوفان فى الكتب القديمة . . وإذا عدنا إلى تفسير ما حدث من انفجارات دورية فى مدينتى سودوم وعمورة ، عرفنا أن انفجارًا وقع على الأرض . . وأن هذا الانفجار فى المخزون النووى قد أثار المحيطات فأغرقت الأرض . . أو أن جسمًا سماويًا قد اقترب من الأرض فسحب الماء وأغرق الكرة الأرضية . . ولو رجعنا إلى كل الأساطير الإغريقية والفرعونية . . لوجدنا أن فى الكون أسرارًا لم نهتد إليها . . ثم إن هناك أناسًا يعبدون الأهرام ، كمستودع لسر الكون ، وخلاصة للحكمة السماوية . . وإن الهرم نفسه ما يزال معجزة كل العصور حتى الآن . . وما قاله هيرودوت ، وما رآه فى مصر وفى سماء مصر من وجود كرات من النار تعلو وتهبط ، ومن أن الكهنة قد استطاعوا أن يعرفوا «منطقة انعدام الوزن» ، وأنهم استطاعوا أن يحركوا الأشياء عن بعد بمجرد النظر إليها ، أو بتحريك الأصابع من بعيد . . كل ذلك يؤكد أن الفراعنة عرفوا الكثير وأخفوا عن الإنسانية الكثير . .

ـ كل هذا قاله علماء الفضاء فى السنوات الأخيرة .

ـ وأكثر من ذلك ما اهتدى إليه العلماء السوفيت فى العام الماضى فقط .

فقد حدث انفجار فى سيبيريا من خمسين عاما ، أحرق الغابات وأطاح بالبيوت وأضاء سماء أوروبا أياما . . وفسر العلماء ذلك بأن أحد النيازك قد اقترب من الأرض . ولكن فى سنة ١٩٧٦ فقط اهتدى العلماء السوفيت إلى حقيقة مؤكدة . . أن الذى حدث هو أن إحدى سفن الفضاء التى تدار بالطاقة النووية أصابها خلل ، فدخلت الغلاف الغازى للأرض واحترقت دون أن تلمس الأرض . . والدليل على ذلك أنها لم تترك أى أثر على الأرض ، اللهم إلا خصوبة شديدة فى التربة فى المنطقة التى أصابتها مباشرة . . !

ـ تمام . معلوماتك مؤكدة . .

ـ وآثار كثيرة جدًا اهتدى إليها علماء الفضاء الأمريكان والروس ، كلها تؤكد أن الأرض ليست هى وحدها التى تعيش عليها كائنات عاقلة . . فلابد أن تكون هناك ملايين الكواكب الأخرى التى تتبع نظما فلكية أخرى تعيش عليها كائنات عاقلة . . وليس من الضرورى أن يكون لها شكل الإنسان وتركيبه . . . مثلا : لا نهاية لأشكال النباتات ، ولا نهاية لأشكال الحيوانات ؛ فلا نهاية لأشكال الكائنات العاقلة أيضا . .

ـ تمام . . حتى الآن كل ما تقوله مضبوط . .

ـ وكذلك فى أمريكا ، وأمريكا الجنوبية ، وعلى حدود ليبيا ، وفى تنزانيا ، وبالقرب من فيينا . . وفى بيرو . . وفى جزر الفصح . . وفى جزر كناريا . . وفى جزر المحيط الهادى . . وفى الهرم الأكبر ، وتحت الهرم الأكبر . . . و «لعنة الفراعنة» نفسها لغز من ألغاز الحياة الغريبة والأسرار العجيبة التى تزخر بها الآثار القديمة . . وتتفق مع المعنى العام . .

ـ ماذا تقصد بالمعنى العام ؟

ـ أقصد أنني وراء معنى واحد هو الذى يشغلنى فى هذا الكتاب وفى كتابى «الذين هبطوا من السماء» ، هو أننا لسنا وحدنا فى هذا الكون . . وفى الوقت نفسه قد نزل على أرضنا ضيوف بلا دعوة منا . . بل إننا اليوم نحاول أن نستدعيهم ، ولعلهم قد عرفوا بوجودنا من كثرة الانفجارات النووية على الأرض . . ثم إننا حاولنا ذلك عندما أرسلنا إلى الكواكب الأخرى لوحات عليها صور للإنسان ، ذكرًا وأنثى . . وصورًا للمجموعة الشمسية . . ثم رسما لنظرية فيثاغورث لنؤكد لهم أننا نفهم فى الرياضيات . . وهناك بعض العلماء يؤكدون أنهم يريدون الاتصال بنا ، ولذلك يبعثون بموجات صوتية سجلتها المراصد الفلكية . . موجات معبرة جدًا ومنتظمة جدًا . . أى أن هناك محطات لتقويتها ، وأنهم يبعدون عنا ملايين السنين الضوئية . . إنهم هناك . . وبعض العلماء يذهب بهم اليأس إلى درجة أنهم يتصورون أننا نبالغ فى أهميتنا . . فهم لا يستبعدون أن تكون هذه الأرض حظيرة لتربية العقول أو السلالات البشرية المختلفة . . وأننا حيوانات فى أحد المعامل ، تعيش لحساب كائنات أكثر عقلاً وحكمة . .

وهناك من يقول إن بعض الكائنات العاقلة عاشت بيننا ولا تزال تعيش بأشكال مختلفة . وهنالك جماعات علمية ودينية ترى ذلك . . بل إن بعضهم يعود إلى الكتب القديمة فيجد أن نوحا عليه السلام اندهش عندما وجد بين أولاده ولدًا أشقر لا يعرفه . . وأن خناقة دبت بينه وبين زوجته . ولكن التوراة لا تناقش ظهور كائن عجيب يختلف عن بقية أفراد الأسرة . . وهذه القصة تكررت فى أساطير فى الهند والتبت والحبشة وفى بابل وآشور وفى الأساطير الإغريقية أيضاً . .

. . وأكملت سرد الوقائع بينى وبين نفسى ، فقد هبطت الطائرة مدينة

هيوستون ، وسيبقى د. فاروق الباز إلى جانب الرئيس السادات والوفد المرافق له فى زيارته الرسمية إلى أمريكا . .

وظللت مشغولاً أفتش فى المكتبات الأمريكية عن كتب جديدة ، حتى جاء رواد الفضاء الأمريكان إلى مصر ، ومعهم د. فاروق الباز . وزرنا المتحف المصرى . وتسمرنا أمام طائرة بجناحين . . طائرة فرعونية قديمة عمرها ثلاثة آلاف سنة !

طائرة ، ما فى ذلك شك . . كيف ؟ إن هذا لغز لم نجد له تفسيرًا بعد !

ونزلت ضيفًا على شركتى « كيبل أندو برلس » وشركة « هوكرو سيدلى » البريطانيتين . وكلتاهما تصنعان الأقمار الصناعية التى يستخدمها العالم فى المواصلات اللاسلكية . . فى التليفونات والتليفزيونات أيضًا . . وجلسنا أمام إحدى سفن الفضاء . وسألت واحدًا من المهندسين : هل صحيح أن هناك هيئة علمية ، تشاركون فيها ، ومهمتها رصد الأصوات التى تجىء من الفضاء الخارجى ؟

قال : نعم . .

قلت : إذن هذه حقيقة علمية مؤكدة .

قال : لا شك فى ذلك .

قلت : ما الذى تتوقعه ؟

قال : ما الذى أتوقعه ؟ . لا أعرف شيئا . إننا سمعنا أصواتًا عجيبة . فأدرنا أطباق الرادار إلى مصدر الصوت حتى ازداد وضوحًا . . والعلماء مختلفون فى مدلول هذا الصوت ومعناه . . هل هى مصادر هائلة للإشعاعات

الكونية ؟ أو هل هي رسائل من حضارات بعيدة عنا ؟ ولكن من المؤكد أن هناك شيئًا ما عاقلاً جدًا بعيدًا عنا . . ما في ذلك شك . .

وليس هذا الكتاب إلا استكمالاً للطرق على باب المجهول . .

إنني لا أسمع إلا دقات أصابعي . . وأضع أذني على الباب . فأسمع وأتخيل أنني سمعت وأنني رأيت . . ثم أعود إلى الكتب القديمة جدًا ، والحديثة جدًّا مفتوح الشهية إلى مزيد من المعرفة . . فلا نهاية لمعرفة ، ولا نهاية لعطشي إلى أن أعرف ـ وهذه نعمة من نعم الله . أحمده عليها ، وأطلب منه ، لي ولك ، المزيد من النور ، وما أوتينا من العلم إلا قليلاً . . قليلاً جدًّا !

أنيس منصور

صورة من الجو للهرم
عمرها ثلاثة آلاف سنة

الكلمة الأخيرة فى أى شىء لم يقلها أحد بعد ، ولذلك سوف ترى وتسمع العجب عن أقدم معالم مصر . . وهناك فارق كبير بين أن « تنظر » إليه وأن « تراه » . .

فنحن ننظر إلى الأهرامات مرة كل سنة أو كل يوم ، ولا نرى هذه الأشياء الباهرة التى يراها العلماء فى عظمة الذين أقاموا الأهرامات . .

فقد تلقيت كتابًا وخطابًا من عالم الفضاء المصرى فاروق الباز . يقول فى خطابه : عندما كنت أقوم بتعليم رواد أبولو ١٧ قلت لهم لابد أن الفراعنة قد أقاموا الأهرامات ليوحدوا بين أبناء الجنوب والشمال فى مصر فى عمل معمارى هندسى فلكى دينى واحد . إنها مناسبة عظمى لتذويب الطبقات والفئات فى شىء واحد .

وهو بالضبط ما تفعله الشركات والمؤسسات والهيئات الأمريكية ، عندما تبنى وتطلق سفنًا إلى الفضاء الخارجى ، حتى لم تعد هذه السفن مشروعًا «أمريكيًا» ، وإنما حلم إنسانى تحقق أمام الجميع وللجميع .

ويقول د . فاروق الباز أيضًا : إن هذه النظرية قد أخذتها من كتاب أرسله

إليك . الكتاب اسمه « لغز الأهرامات » من تأليف كورت نيكلسون . . وقد قرأت الكتاب الذى بعث به د. الباز . يقول مؤلفه : إننى مدين بحياتى لأهرامات مصر قبل أن أراها ؛ فعندما هاجرت إلى بريطانيا لأدرس الفيزياء لم تكن هناك أموال فى الجامعة للإنفاق على طالب مثلى . . وأخيرًا وجدوا اعتمادًا رصدته الجامعة لتشجيع الحفائر حول الهرم الأكبر . فنذرت نفسى للبحث عن الهرم الذى لم أره . وجئت إلى مصر . . وتعلمت على نفقة الهرم الأكبر .

ورأيت الهرم . وأدركت أننى لم أضيع وقتى فى شىء ، بل لو كان عندى عمر آخر لأمضيته فى معرفة سر هذا الشىء الهائل العظيم . وقد درست وبحثت وخرجت بأشياء لم يسبقنى إليها أحد .

وعندما سافر أديب إيطاليا ألبرتو مورافيا إلى الصين ، أصدر كتابًا ممتعًا يقول فيه : فى الصين ستجد أمامك معنى واحدًا هو: أنه لا يوجد إنسان غنى ولا يوجد إنسان فقير.

فالفقير والغنى إنما يظهران أمامنا عندما نجد الرجل الغنى والرجل الفقير . أما فى الصين : فالناس جميعًا سواء . . بل إنهم لا يعرفون معنى كلمة غنى ولا معنى كلمة فقير . فالإنسان يجد ما يحب ، ويحب ما يجد . .

ويقول مورافيا : الأصل أن يكون الإنسان عاريًا ، وبعد ذلك يكسو نفسه بما يشاء من الملابس . والأصل أن يكون الإنسان فقيرًا ، وبعد ذلك يصبح مقتدرًا أو غنيًا . . ويبدو أن الإنسان حريص ، وكذلك الشعوب حريصة على أن تكون فى حالتها الطبيعية من الفقر . ولذلك نجد الرجل الغنى يبدد أمواله فى الهواء واللعب ، أو فى المشاريع الكبيرة . . وتكون النتيجة دائمًا أن نجد أغنياء ليس فى جيوبهم مليم ، أو ليست عندهم قدرة صحية على أن يأكلوا

ويشربوا كبقية خلق الله . . وإنما نجدهم عاجزين عن الأكل والنوم والحركة تماما ، كأنهم فقراء لا يجدون الطعام أو العلاج .

ثم يقفز مورافيا إلى المعنى الذى يريده : انظر إلى مصر الفرعونية . . انظر إلى أمريكا اليوم . . فالفراعنة أقاموا الأهرامات ، ثمانين هرمًا أو أكثر. لماذا ؟ لأنهم لابد أن ينفقوا المال والجهد على شيء . . هذا الشيء المهيب يبدد الطاقة والموارد . .

وأمريكا تفعل الشيء نفسه فى بناء مدن الفضاء وسفن الفضاء والرحلات إلى القمر . . ولقد أنفقت ألوف الملايين على هذه التجارة العلمية الباهرة ، بينما فى أمريكا عشرات الملايين من الجياع والمرضى . .

لماذا ؟ لأن فى الشعوب وفى الأفراد ، نزعة إلى أن يكونوا قريبين من الطبيعة الإنسانية : أن يكون الإنسان فقيرًا معدمًا . . أن يكون طبيعيًا .

يقول مورافيا : لم يكن هذا المعنى واضحًا فى رأسى إلا عندما رأيت أهرامات الجيزة وسور الصين العظيم . .

ولو أحصينا الكتب التى صدرت عن (أسرار الهرم) منذ سنة ٧٣ حتى الآن ، لوجدناها تسعين كتابًا . وعندى منها ستون . وهى تتعرض من جديد لهذا الشيء الغريب العجيب الذى هو الهرم الأكبر ، فمثلاً هناك كتاب عن (تفسير جديد لكتاب قديم) . أما الكتاب القديم فهو (التاريخ) الذى ألفه المؤرخ الإغريقى القديم هيرودوت ، فعندما جاء إلى مصر أطلعه الكهنة على أسرار الحياة والموت والكون . لقد أدخلوه المعابد وجعلوه يرى كرات من النار تطير أمام عينيه دون أن تكون لها حرارة . . تروح وتجيء عندما يشير إليها الكهنة . . كما رأى أعوادًا من الحديد ترتفع فوق سطح الأرض ، وتظل معلقة فى الفضاء . .

قالوا : إنه كانت هناك قارة غارقة . . وإن الكثير من العلماء ومن الكهنة قد جاءوا منها . . وقالوا ليس من الحكمة أن نطلع الشعب على كل هذه الأسرار حتى لا يفسد عقله ووجدانه .

ولذلك يجب أن يحتفظ الكهنة بسر الكون يطلعون عليه الملك فقط . . أما الناس الطيبون ، فإن عقولهم لا تقوى على استيعاب هذه المعارف المعقدة ، تمامًا كما أن أحدًا لا يستطيع أن يمسك النار بأصابعه أو يفتح عينيه فى قرص الشمس .

وكان « هيرودوت » وفيًّا بالوعد ، فلم يذع الكثير من الأسرار التى أطلعوه عليها ، خصوصًا : ما هذا الهرم ؟ وما الذى فى داخله ؟ . . وأين أخفى الكهنة وثائقهم التاريخية فى أحد جوانبه؟

يقول ألبرت أشتيجر مؤلف كتاب (تفسير جديد لكتاب قديم) : إن الذى ذكره هيرودوت شىء قليل . إن مثلاً واحدًا من الأمثلة التى ضربها لنا ، يكفى لتدويخ علماء الأرض سنوات طويلة . . يكفى أن نبحث معًا كيف أن الحديد يرتفع عن الأرض ، كأنه لا توجد جاذبية أرضية ؟ كيف يمكن إعدام الجاذبية على مسافة قريبة من الأرض ؟ إننا فى العصر الحديث لم نعرف انعدام الجاذبية إلا على ارتفاع مئات الأميال وفى سفن الفضاء !

إن الرحالة النرويجى « تور هايردال » قد تذكر ما قاله « هيرودوت » عندما ركب زورقه « رع الثانى » يعبر به المحيط بين مدينة صافى المغربية وبين نيويورك . لقد رأى فى إحدى الليالى هذه الكرات الصغيرة اللامعة قريبة من الزورق . نفس الكرات الصغيرة التى شاهدها رواد الفضاء تلاحق سفنهم . . ولم يجدوا لها تفسيرًا علميًّا . . بل إن هايردال سمع صوتًا واضحًا قويًّا فى أجهزة

الاستقبال . ولم يكن ذلك الصوت بأى لغة من اللغات العشرين الحديثة التى يعرفها هو وطاقم الزورق « رع الثانى » !

يقول هايردال : إن شيئًا ما لا يريد الفراعنة أن يعرفه الناس عنهم . . ولذلك فالذين يتهجمون على أسرار الهرم والحياة الفرعونية ، يملأ الخوف قلوبهم . . وأنا لم أعرف الخوف إلا منذ رحت أجمع أعواد البردى إلى أمريكا لعلى أعرف العلاقة بين أهرامات الجيزة وأهرامات المكسيك . رغم أنها مختلفة تمامًا . وأن المسافة بين أهرامات مصر وأهرامات المكسيك أكثر من ٢٥ قرنًا . .

وعندما ذهب العالم الكبير ألفاريز الحائز على جائزة نوبل لزيارة أهرامات المكسيك قال : هذه الأهرامات لا تهزنى كثيرًا ، ولكن تلك التى تقع على حدود الصحراء عند الجيزة . هذه هى المعضلة !

وجاء ألفاريز إلى مصر ، ومعه أجهزة لتسجيل الأشعة الكونية ومسارها فى الآلات الدقيقة التى وضعها تحت الهرم . وذهب الرجل إلى أمريكا . ولما سئل فى التليفزيون الأمريكى : ما رأيك ؟ قال : الرأى لهم ، أما أنا فلا أجد ما أقوله .

ولما سئل : من هم الذين تتحدث عنهم ؟ قال : هؤلاء الفراعنة . . إن الذى أراه قد حيرنى ! ولم يشأ ألفاريز أن يضيف تفسيرًا إلى هذه الحيرة .

ولكن عالماً مصريًا اسمه د . جهيد هو الذى أوضح هذه العبارة ، فزاد من حيرة الناس ، ومن ذهول العلماء . . فلا يوجد كتاب بين هذه الكتب التسعين ليست فيه هذه العبارة للعالم المصرى . قال العالم المصرى د . جهيد : إن الذى رأيناه على الأجهزه تحت الهرم شىء يتنافى مع العلم الحديث . . إنه ضد العلم : فإما أن نكون كل قوانين الأشعة التى تعلمناها خطأ ، وإما أن نكون أمام لغز

ليس له تفسير . . إن الذى رأيته يختلف تمامًا عن كل التوقعات العلمية ، إن مسار الأشعة الكونية فى أحجار الهرم ينحرف مرة يمينًا ومرة شمالاً . . وهذا غير منطقى وغير علمى . ففى الهرم لغز يتحدى العلم والعلماء !

وعندما ذهب د. أندرو توماس إلى مدينة كوتشين فى جنوب الهند لاحظ أن الناس هناك يرتدون ملابس فرعونية ، ولكنها ملاحظة عابرة ربما كان سببها أنه كان قادمًا من مصر . ثم لاحظ أن هناك كلمات فرعونية على ألسنة الناس . ولكن الشيء العجيب حقًا هو أن يجد فى أحد المتاحف قطعة ذهبية ، وعلى هذه القطعة الذهبية صورة جعران فرعونى . ولما استأذن فى الاقتراب من هذه القطعة الذهبية اندهش أكثر . ولما طلب أن يعود بها إلى أمريكا كانت المفاجأة الكبرى . هذه القطعة الذهبية فرعونية تماما . ولكن كيف جاءت إلى الهند ؟ ليس صعبًا أن تجيء بأية صورة ، مع سارق أو مع تاجر . . ولكن الأعجوبة العلمية هى أن هذا الذهب لا يمكن أن نجده فى الطبيعة صافيًا هكذا ! . وإنما لابد أن يوضع فى درجات حرارة عالية جدًا تصل إلى المئات . فكيف استطاع ذلك الفراعنة منذ ثلاثة آلاف سنة ؟!

وعندما ذهب د. توماس هذا إلى مدينة ترافنكور الهندية أيضًا ، وجد نقشًا على أحد المعابد القديمة . النقش هو صورة من الجو - أو كأنه كذلك - لمنطقة أهرامات الجيزة . . أما المعبد فقد أقيم فى موقعه هذا منذ ثلاثة آلاف سنة . وعندما ذهبت السيدة جيزيل مندلباوم إلى قداس أقامته الجماعة المعروفة باسم «الصليب الوردى» ، لاحظت أنهم يعبدون «أخناتون» - الذى نادى بالتوحيد ، أو بعبادة الرب الواحد ، قرص الشمس - وأخناتون معناها : رضى الله عنه . .

ولما سألت عن السبب فى أنهم يعبدون أخناتون ، ثم يسافرون إلى مصر ويتعبدون فى داخل الهرم الأكبر وفى غرفة الملك بالذات ، كان الرد : لقد

وجدنا ذلك منقوشًا على أحد المعابد فى جزيرة فى المحيط الهادى . ولما طلبت أن ترى ذلك النقش ، وجدت أن هناك رسالة مكتوبة على الحجر عمرها سبعة وعشرون قرنًا تقول : على الذين تطلع عليهم الشمس وتغيب ، والذين يعيشون على ماء المطر ودفء السماء ، أن يتجهوا إلى مصدر النور هناك على النيل . . هناك قامت المعجزات عالية شاهقة . . هناك الصلوات والموت والحياة . .

تقول جيزيل فى كتابها « لسنا وحدنا فى هذا الكون » : تابعت هذه الجماعة فى أمريكا وألمانيا وفرنسا . هذه الجماعات لا يعرف بعضها البعض ومن بينها علماء كبار . بعضهم قد فاز بجائزة نوبل فى الطب وفى الفيزياء ، وقد أقسمت ألا أفشى سرهم . ولكنهم جميعًا يرون أن الهرم الأكبر هو كنز العلوم الكونية ، وقد أودع الفراعنة فى هذا الهرم سر الهيئة الفلكية وبداية العالم ونهايته . . !

وفى سنة ١٩٧٣ ظهرت رواية ألمانية لكاتب يهودى اسمه ميكائيل حاييم يقول فيها : يجب أن تغرق مصر قبل أن يصبح أنور السادات قادرًا على فعل شىء !

وكانت هذه نبوءة من المؤلف . ففى سنة ١٩٧٣ استطاع أنور السادات أن يفعل « الشىء » الذى أعز مصر والأمة العربية بين الشعوب .

وفى هذه الرواية يصور المؤلف كيف أن اليهود قد نسفوا السد العالى فغرقت مصر كلها . وقد تحولت عنها الطائرات إلى بلاد أخرى . وهنا ترتفع ضحكات المؤلف السعيد . . فهو يشمت فى المصريين الذين كانوا يقولون لليهود : فى البحر سوف ندفنكم . . أما الآن فقد أتى لهم اليهود بالبحر ودفنوهم فيه . . ويقول : هنا فقط سوف يصنع اليهود سفينة نوح مرة أخرى . . وسوف يغرق

العالم كله وينجوبنو إسرائيل . . وكما رست سفينة نوح على جبل أرارات فى أرمينيا ، فإن سفينة نوح الجديدة سوف ترسو فوق قمة الهرم الذى أقامه الفراعنة ، لأنهم كانوا يعرفون مقدمًا بوقوع طوفان على هذه المنطقة . . فأودعوا أسرارهم فى الهرم . . وهذه الأسرار فى انتظار أحفاد نوح الجدد ، لينقذوا البشرية مرة أخرى . . لأن اليهود قد اختارهم الله ، لإنقاذ الإنسان !

وفى كتاب بعنوان « نبوءات الأهرام » للكاتب الأسبانى رودلفو بنافيدس ، يقول المؤلف وهو يتحدث عن عظمة الذين أقاموا الأهرامات : بصراحة وبصدق تام لا يوجد حجر واحد فى الهرم ليس له معنى . وعندى على ذلك ألف دليل . . فالمسافة بين غرفة الملك وغرفة الملكة هى بالضبط التى حددت لى اليوم والساعة والسنة التى أعدم فيها لويس السادس عشر وزوجته . . والمسافة بين مدخل الهرم وبداية البهو الرئيس هى التى جعلتنى أحسب بالضبط عدد الأيام التى أمضاها نابليون فى جزيرة سانت هيلانة . .

ولما حسبت الأحجار السبعة الأولى وضربت الطول فى العرض وقسمت ذلك على السنة التى ولد فيها نابليون عرفت أنه مات مسمومًا بالزرنيخ . . وعرفت الكمية التى كانت توضع له كل يوم فى الطعام . .

ويقول بنافيدس أيضًا إن الشىء الذى يحيرنى بعد دراسة سبع سنوات للهرم الأكبر الذى لم أره حتى الآن ، هو كيف ولماذا اختار الفراعنة الشعوب الإنجليزية بالذات فوجهوا إليها رسائل من نوع خاص . . ثم لماذا هذا التشابه التام بين المقاييس والموازين والمكاييل الفرعونية وبين مثيلاتها عند الإنجليز ؟ !

وفى التقرير الذى أصدرته أمريكا عن « الأطباق الطائرة » ، تأكيد لهذه الظاهرة ، وأنها صحيحة . ولكن ليس عندنا تفسير كاف لوقوعها فى القرن العشرين وفى العصور الوسطى أيضًا . ولكن الشىء الذى أدهش الباحثين

والعلماء أن كل هذه الأطباق الطائرة تنطلق فى خط عمودى على أهرامات الجيزة .

يقول الباحث الألمانى فون دينكن الذى أصدر عددًا من الكتب الفذة عن سكان الكواكب الأخرى الذين هبطوا إلى الأرض ثم عادوا إلى السماء : يجب أن نعود إلى قراءة ما كتبه هيرودوت . . وأن نعود إلى قراءة كل الأساطير اليونانية القديمة . . وإلى التوراة . . ثم إلى ألف ليلة وليلة . . إن فيها جميعًا ما يؤكد النظرية التى نادى بها غيرى من الباحثين : أن هناك كواكب أخرى مليئة بأناس أكثر عقلاً وحكمة . . جاءوا وعادوا . . وأن الفراعنة كانوا على صلة بالكواكب الأخرى . . وأن الفراعنة استطاعوا . لأسباب لا نعرفها بوضوح ، أن يقاوموا غزو الكواكب الأخرى . . ويؤكدوا عبقرية فذة فى هذه العصور السحيقة . . ويقول فون دينكن أيضًا : لو كان لى عمر نوح أو حتى عمر تولستوى لأقمت فى أهرامات الجيزة حتى أستمع من الذين أقاموه فى هذا المكان وعلى هذه الصورة ، لماذا فعلوا ذلك ؟ ثم ما علاقتهم بالكواكب الأخرى والأطباق الطائرة ؟ . . ثم لماذا هم صامتون ساخرون من كل ما فعله العلماء بالأحجار والأوراق وبأجهزة الأشعة الكونية تحت الهرم . .

إنها ملحمة دينية أسطورية تاريخية علمية ترددت أصداؤها فى القارات الخمس . يقول مؤلف الكتاب الذى أهدانى إياه د. فاروق الباز : إن مشروع بناء الهرم قد خلق تذويبًا للطبقات لم يكن موجودًا . . فهناك أبناء الفلاحين والقبائل الريفية وأبناء المدن قد اشتركوا فى عمل وطنى واحد .

وربما كانت هذه هى أول مرة يفكرون فيها أنهم مصريون حقًا . فمع هذه الوحدة الوطنية فى بناء الهرم فى عهد سنفرو ، لا يهم كثيرًا أين يدفن الملك . . وهذا هو الذى حير علماء المصريين زمنًا طويلاً ، فهم لا يعرفون بالضبط فى

أى هذه الأهرامات الثلاثة دفن الملك . . ويقول أيضًا : فإذا عرفنا أن السبب الحقيقى لبناء هذه الأهرامات هو توحيد قوى الشعب المصرى ، وسياسة بناء مجتمع جديد ، فإن المعنى الدينى يتراجع إلى الوراء . . فهذه الأهرامات كانت مناسبة وطنية لبناء شعب جديد ودولة جديدة ، ظلت سائدة بعد ذلك خمسة آلاف سنة . .

واستمر عصر بناة الأهرام بعد ذلك . . ولولا الوفاة الغامضة للملك خوفو لعرفنا أشياء كثيرة ، ولكن الشىء المؤكد هو هذا المعنى السياسى الاجتماعى : توحيد قوى الشعب العامل فى مصر فى هذا البناء العظيم . ويقول أيضًا : هذا اجتهادى ، ولكن علماء آخرين فى الكيمياء والفيزياء والفلك والفضاء لهم تفسيرات أخرى مثيرة ألقت ظلالها وضياءها فى كل مكان . . كما سوف ترى فى الفصول التالية .

لا سلام فى العالم
بلا أهرامات أخرى

الذين زاروا أهرامات الجيزة نظروا إليها ورفعوا رءوسهم إلى أعلى وأسندوها بأيديهم ، وقالوا : ياه ! وتكون هذه الكلمة علامة تعجب ونقطة نهاية الجملة، ليتجه الإنسان إلى شىء آخر . وبذلك تنتهى الزيارة إلى كل العصور. ولكن يبدو أن الفراعنة قد توجهوا بهذه المعجزات المعمارية والفلكية إلى شعوب أخرى على الأرض ، أو فى الكواكب الأخرى . . فلا يزال هناك الكثير جدًّا الذى يتوالى على أقلام العلماء والأطباء والأدباء . .

ولذلك لابد أن أعود إلى أحدث ما صدر من كتب وهوكتاب « لغز الأهرام » للعالم الفزيائى كورت مندلسون . وقد أرسله لى د . فاروق الباز لعلى أجد ما يثيرنى . وقد وجدت الذى هزنى وملأ يدى بعشرات من الكتب الأخرى . .

وقد تابع كورت مندلسون أعمال الحفر والتنقيب فى مصر . وجاء وعاد إلى إنجلترا . ولكنه فجأة توقف ليعود إلى مصر من جديد . فقد كان فى زيارة لأقاربه فى ولاية ويلز فى إنجلترا . عندما سقط منجم فحم على العمال ، وعندما تداعت الأرض فى أكتوبر سنة ١٩٦٦ ، فسحبت مدرسة بها ١١٦ طفلاً . . ثم تساقطت الأمطار وأصبحت المناجم مقبرة سوداء لهذا العدد

الكبير من الأبرياء . . هنا فقط أحس كورت مندلسون بخطورة ما اكتشفه العالم المصرى زكريا غنيم فى سنة ١٩٥١ !

فقد اكتشف زكريا غنيم السور الخارجى لهرم مدرج فى ميدوم بالقرب من سقارة . ولكن هذا الاكتشاف أخطر بكثير جدًا مما يتصور الناس . فقد أثبت زكريا غنيم أن فى داخل هذا السور هرمًا . وأن هذا الهرم المدرج قد انهار . وأن هذا الهرم قد تساقط قبل أن يتم . وأنه انهدم على ألوف العمال . وأن المقابر وجدت خالية بالقرب من الهرم ، فلم يشأ أصحابها أن يدفنوا فيها ، لأنها كانت شؤمًا على المنطقة كلها . .

وهرم ميدوم هذا يعتبر من أخطر الآثار المعمارية التى انهدمت فى التاريخ . . أخطر من سقوط برج بابل الذى يقال إنه قد بنى ليرفع أصحابه إلى السماء ، فغضب الله عليهم وتفرقت لغاتهم وألسنتهم . فلم يتفاهم أحد مع أحد . . ثم هدم البرج عليهم . . أى أن الله هدمهم قبل أن يوقع بهم وعليهم هذا البرج . . وسقوط هرم ميدوم أخطر من سقوط هيكل سليمان سنة ٥٦٨ قبل الميلاد ، أمام الجيوش البابلية . وأخطر أيضًا من برج المدينة بيزا الذى بنى فى القرن الثانى عشر ثم راح يميل بعد ذلك ، ولم يسقط . .

إن هرم ميدوم يؤكد لنا أن هناك خطأ هندسيًا وقع فيه المهندسون الصغار الذين ينفذون بناءه ، وأن المهندس الكبير مصمم الهرم قد حاول تعديل زوايا الارتفاع لكنه لم يفلح فعدل عنه . وفى الوقت نفسه كان هناك هرم آخر قد أتم بنفس الأسلوب فى دهشور . . وأن هذا الهرم الجديد قد صححت فيه زوايا الميل والارتفاع . .

وكان معروفًا من الصور التى التقطت من الجو أن هناك هرمًا منهارًا . وأن هذا الهرم يقع وسط سور . ولكن أحدًا لم يعرف بالضبط كيف ولماذا سقط .

وكل الذين زاروا منطقة دهشور وسقارة لاحظوا هذا « الكوم » من الحجارة والتراب . . ربما كان الرحالة الدنمركي فريد ريش أول من أدرك ذلك ؛ ففي كتابه عن رحلته إلى مصر والسودان سنة ١٧٣٧ ، ذكر أنه قد وجد هذا الهرم المنهار ، وقد حاول أن يرتقي بقايا هذا الهرم ولكنه عدل عن ذلك . .

وقد أطلق أحد المستشرقين اسم « الهرم الكذاب » على بقايا هرم ميدوم . .

وعالم المصريات قد رأى هذا الهرم ولاحظ التكسية الخارجية له ، وقال إن هذا الهرم لم يقم على تل حجري طبيعي .

أما أعضاء البعثة العلمية التي رافقت نابليون ، فقد صوروا وحاول واحد منهم ، واسمه « دنون » أن يصعد إلى قمته .

ويقول لنا المؤرخ المصري عبد اللطيف الذي عاش في القرن الثالث عشر ، إن الملك العزيز عثمان قرر أن يهدم الأهرام ، وأن ينقل أحجارها لبناء المساجد وأسوار القاهرة. وحاول بعض الوقت . ولكن استحال على حمير الملك العزيز، مهما بلغ عددها أن تنقل ملايين الأطنان من الحجارة . . ولكنه نقل بعض أحجار ميدوم . واكتفى بهذا القدر . ودخل التاريخ على أنه واحد من الذين نظروا إلى الأهرامات ولم يفهموها . وضاق بهذا الجبل الفخم وبهذه العظمة .

ويقول مندلسون إن اهتمامه بالهرم بدأ عندما كان طالبًا في جامعة برلين . فقد قرأ رواية اسمها « معركة هرم خوفو » . . الرواية من تأليف ماكس آيت . هذا المؤلف جاء إلى مصر سنة ١٨٦٠ وحاول أن يبيع بعض المحاريث البخارية إلى الخديو.

ولم يفلح في إقناعه ، فاتجه إلى الدوران حول الأهرام . وقامت روايته على

صراع بين أخوين ، أحدهما يريد أن يستخدم أحجار الهرم فى بناء سدود وقناطر على النيل ـ فهذا أنفع . والآخر يريد أن يعيد ترميم هذه الأهرامات ويكسوها من الخارج ، كما كانت ، لتعكس نور الشمس على الوادى ، وعلى السحب لكى تسقط الأمطار . . وفى الوقت نفسه تكون مصدرًا للإيمان بقوة أعظم . ولم يتفق الأخوان .

وسمع مندلسون عن فلكى إنجليزى مغامر جاء إلى مصر . وقاس الهرم وتأكد من أن مقاييس الهرم هى مقاييس نزلت من السماء . . ولذلك يجب أن يتمسك الشعب الإنجليزى بالبوصة والقدم والياردة ، لأنها فرعونية الأصل . هذا الرجل هو الفلكى الشاب بيانسى سميث . كان أبوه أميرالاى فى البحرية البريطانية . وهذا الشاب هو المسئول عن بقاء إنجلترا بعيدة عن المقاييس المترية والعشرية مئات السنين . والسبب جنونه بالمهندسين الذين بنوا الأهرام!

ثم وجد الكتاب الذى ألفه سميث هذا بعنوان « تراثنا من الهرم الأكبر » . . وقد توفى هذا الفلكى العبقرى فى هيئة عجيبة ، فقد وجدوه ممددًا على سريره ملفوفًا فى قماش أبيض مرسوم عليه أهرام الجيزة وقد وضع على صدره رسالة لم يكملها بدأت بهذه العبارة : «إلى الله العزيز القدير الرحيم أريد أن أتوجه بهذا الاعتذار » . .

وليس أسهل من أن يكتب أونقول هذه العبارة : الفراعنة بنوا الأهرام . .

تعال معى نحسبها : كيف نقلوا هذه الملايين من الأطنان مسافة أكثر من عشرين كيلومترًا ؟ . وبأية وسيلة ؟ . على أكتافهم ؟ على الحمير ؟ فى زوارق فى النيل ؟ ثم كيف حركوها على الرمال غير المستوية ؟ هل دحرجوها على جذوع الأشجار ؟

كم شجرة فى مصر كلها التى خلت تمامًا من الغابات ؟ هل شدوها بالحبال؟ لم تكن الحبال ولا الأسلاك معروفة فى ذلك الوقت ! كم عاملاً ؟مائة ألف ؟ من الذى يقدم لهم الطعام والشراب؟ من الذى يشرف على أعمال النقل والدفع والتركيب وتسوية الأحجار ؟ كم ألف رئيس عمال؟ كم مهندسًا ؟

لقد وجدنا بعض أوراق البردى التى كان العمال يتلقونها قبل بناء الهرم . . فى كل ورقة عدد العمال الذين يجب أن يقوموا بمهمة معينة . . ثم على أوراق أخرى أسماء رؤساء العمال وما يجب أن يعملوه فى وقت محدد . .

ثم إذا عرفنا أن الفراعنة كانوا يعملون فقط ثلاثة شهور فى السنة ، هى أيام الفيضان ، حيث لا يحتاج المصريون إلى عمال رى أو عمال فى الحقول ، فما الذى يفعله هؤلاء العمال فى نهاية هذه الفترة ؟

إن بعض العلماء يؤكد أن عدد سكان مصر فى عصر بناة الأهرام كان يبلغ العشرين مليونًا . ولابد أن يكون عدد العمال مليونًا .

تعال معًا نتساءل : أين كانت الغلال توضع لهم ؟ وأين كانوا يخزنونها؟ . .

وكم عدد العمال الذين يقومون على خدمة هؤلاء العمال ؟

هل كان رؤساء العمال يستخدمون الكرباج ؟

لا يوجد دليل واحد على أن العنف والقهر والاستعباد هو الذى دفع الشعب إلى أن يبنى هذا الهرم . لقد كان الاستعباد لأسرى الحروب فقط . وكانت مصر فى أيام بناة الأهرام المدرجة تعيش فى رخاء وسلام . حتى المصريون كانوا فى غاية الرفق والرحمة مع أسرى الحروب .

إن أحد علماء الرياضيات قد حسب الوقت الذى يستغرقه بناء الهرم الأكبر بالأيدى العاملة حوالى ٦٤٠ عامًا . .

ويكفى أن تتصور أن الحجر يجب نقله أو تحريكه عشرين كيلومترًا ، وأن العامل الواحد يستطيع أن ينقل أحجارًا فى اليوم الواحد ولمدة ثلاثة أشهر. . ثم بعد ذلك يجيء مسحه ورفعه ووضعه فى المكان المناسب دون خدش له . . مع مراعاة القواعد الهندسية والفلكية . . ولم يقع خطأ واحد ولا جزء على الألف فى جميع الجهات . كيف ؟ ما هى الأدوات الهندسية والفلكية التى استخدمها الفراعنة؟ وأين ذهبت ؟

هذه هى البداية السحرية لهذا الدهليز الطويل العريض الذى اسمه : عبقرية مصر الفرعونية .

ومن عباقرة مصر ، أوعباقرة كل العصور هذا الرجل : إمحوتب .

إنه ليوناردو دافنشى العصر القديم . . فقد كان طبيبًا مهندسًا كاتبًا . . هو الذى يشفى الناس ، ويحقق المعجزات . . وهو الذى بنى الأهرامات وهو الذى علم المصريين الكتابة . . وهو الذى اخترع لهم الحبر الأسود من هباب المصابيح ومن أوراق الشجر . . وقد أقام له الشعب المصرى ألوف التماثيل - فى متحف اللوفر خمسون تمثالا له . . ثم إنهم فى مصر عبدوه . وإن لم يعثر له أحد على تابوت ، لا فى أى هرم ولا بالقرب منه . . لقد اختفى . أو هو الذى أخفى نفسه ليظل لغز العصور . . وقد عبده الإغريق والرومان . . وكان المرضى يرونه فى أحلامهم يزورهم بملابسه البيضاء ولحيته والكتاب فى يده .

إن هيرودوت عندما زار مصر بعد أن بنى الهرم الأكبر بألفى عام ، سمع من الكهنة أن الآلهة كانوا يعيشون بين الناس . وأنهم لم يعودوا يفعلون ذلك . . وأنهم أطلعوه على ٣٤١ تمثالاً . وكل واحد منها يمثل جيلاً منذ الخليقة . . ألا يدل هذا على أن الإنسان قد عاش قبل ذلك بأحد عشر ألف سنة ؟ هل هناك خطأ فى حساب بناء الهرم الذى يقول عنه المسعودى المؤرخ المصرى

العراقي الأصل إنه قد بني قبل طوفان نوح ، وإن الذين بنوه كانوا يعلمون بالطوفان . وإنهم وضعوا في الهرم كل أسرار الكون . . ؟

إن المؤرخ الإغريقي هيرودوت ، وكذلك المؤرخ مانيتون ، كلاهما مسئول عن كثير من الألغاز التي حيرت العلماء في كل العصور .

إن هيرودوت قد رأى الكهنة يرفعون الشيء عن الأرض بمجرد الإشارة إليه . فهل فعل الفراعنة ذلك عند بناء الهرم ؟ إن الكهنة قد رأوا أن أجسامًا غريبة تقترب من الأرض وتطير . . فهل هذه الأجسام العجيبة قد عاونت في رفع ملايين الأطنان من الأحجار ؟

إن كاهنا مصريًا اسمه هارون السكندري عاش في الإسكندرية في القرن الأول الميلادي كان يفاجئ الناس بسقوط أمطار معطرة من تحت سقف البيت . . وكان أيضا يرفع الأحجار وأدوات البيت بمجرد الإشارة إليها . . وهو الذي قال إن الذي أفعله ليس إلا عبثًا ولهوًا ، إذا ما قورن بما فعله جبابرة السحر الفرعوني عندما بنوا الأهرام .

إن هذا الحكيم الطبيب الفيلسوف المهندس المعبود إمحوتب ، هو معجزة مصر الكبرى . وهو وحده الذي يستطيع أن يدلنا على ما حدث كيف حدث . . وكيف قامت ولماذا هذه الأهرام كلها ؟ بل إن هذا الرجل الذي كان يشفي كل الأمراض المستعصية هو وحده القادر على أن يشرح لنا كيف استطاع الفراعنة أن يحققوا هذه العظمة في كل العلوم .

إن البرديات المعروفة باسم « برديات أدوين سميث » التي طولها ١٥ قدمًا ، قد تضمنت ٤٨ حالة عجيبة لمرضى وكيف استطاع الطبيب أن يعالجهم جميعًا . . إن في هذه البرديه ٧٠٠ عقار ، كلها مأخوذة من النباتات أو

الأعشاب أو الخلاصات النباتية . ولا يزال العلم الحديث يعتمد عليها فى المقام الأول . والفضل يرجع إلى إحوتب هذا .

وأخيرًا وبعد بحث استغرق ٣٠٠ صفحة يصل العالم الفيزيائى كورت مندلسون إلى هذا الرأى الذى لم يسبقه إليه أحد . وهو سعيد بهذه النتيجة إلى أن تظهر اجتهادات أخرى .

يقول : لم يكن الهرم هو الذى يهم الفراعنة ، وإنما هو « بناء الهرم » ؛ لأن فى بناء الهرم بناء للشعب المصرى أيضًا . فالبناء : حشد وتنظيم وتذويب وهندسة وغاية رفيعة . فالذى فعله الفراعنة هو ما يجب أن نفعله نحن فى هذا العصر ـ هو الذى يقول أيضًا : إن هدف الإنسان الحديث هو ، أو يجب أن يكون : أن نبنى معًا ، وأن نعرف بعضنا بعضا ، وأن ننسى أنفسنا من أجل غاية أهم وأسمى . . يجب أن نبنى هرمًا جديدًا على كل أرض وفى كل قلب . . .

مثلاً : أن نعمل معًا من أجل منع التلوث . . تلوث الماء والهواء . . يجب أن نجد حلاً لعوادم السيارات والطيارات والبواخر والمصانع . . وأن نجد حلاً للمبيدات الحشرية التى نقتل بها الحشرات ، فنقتل الطيور ونقتل بها أنفسنا أيضًا .

ويروى لنا أنه ذهب مع بعض الشبان إلى حافة بركان فى غرب أفريقيا ، وعند الحافة عاشت قبيلة من عشرة آلاف نسمة ، فى أسوإ الظروف الصحية . فكل ما حولهم سم فى سم ، ولذلك فالأطفال يولدون ويموتون فى اللحظة نفسها . ولو عالجنا هؤلاء البدائيين أو أبعدناهم عن التلوث لعاشوا وتضاعفوا . وهذا بالضبط ما نعانيه جميعًا ؛ فنحن نعيش على حافة بحيرة بركانية مسمومة . .

وفى العالم أهرامات كثيرة فى السودان والحبشة والمكسيك وبيرو ولكنها أقيمت لأهداف أخرى . ولكن الهدف الذى تحقق فى جميع الأحوال : هو أن الناس كانوا معًا وعاشوا وماتوا معًا .

وقد حدث عندما نشر مندلسون مقالاً فى مجلة سويسرية عن نظرية «وحدة قوى الشعب العامل فى مصر» فى بناء الهرم ، أن غضب أصدقاؤه من علماء الذرة . فقد ظنوه يسخر منهم . فهم قد أنفقوا أكثر من عشرين مليون دولار يبحثون عن حركة غريبة لأحد الجزيئات حول نواة ذرة الكوبالت !

والذى أغضبهم أنه قال : إن هناك أعمالاً عظيمة لأهداف تافهة !

فالعمل العظيم هو أن يعمل الناس معًا ، والهدف التافه أن يكون ذلك بسبب الحركات الشاردة لبعض الذرات .

ولكنه عاد يصحح هذه العبارة قائلا : وإنما قصدت أن أقول إن علماء الذرة قد اتحدوا من أجل بناء هرم صغير جدًا . ولكنهم اتحدوا ! .

ويوم هبط الإنسان على القمر ، بهر العالم كله ، وانشغل العمال والموظفون عن المطالبة بأن يكون لهم ثلاثة أيام إجازة من كل أسبوع . . بل إنهم انشغلوا أيضًا عن تلك الحملة الشهيرة التى تطالب بإنقاذ الببغاوات الجميلة فى بورتوريكو، حتى لا تنقرض . . . وحتى لا ينقرض أيضًا الخرتيت فى كينيا . .

وفى نهاية البحث الممتاز يقول د . كورت مندلسون فى كتابه «لغز الأهرام» : لقد آن الأوان لأن نتعلم من الفراعنة حكماء العصور القديمة ، أن نبنى معًا هرمًا فى الفضاء . . من أجل أن يتحقق السلام العالمى . . فلا سلام على الأرض إذا لم يرفع الإنسان شيئا واحدًا شاهقًا فى السماء !

ويبقى دائما كيف حدث ما كان !

إن الكاتب الألمانى فون دينكن فى أحدث كتاب له بعنوان « كلمات وصور » قد عرض علينا ٣٦٥ صورة لآثار قديمة ، يرى أنها الألغاز الكبرى فى العالم . .

فى مقدمة هذه الألغاز أيضًا : الهرم الأكبر . .

ويقول لنا إن عالمًا اسمه ماك لوهان قد أعلن أن فى داخل الهرم نوعًا من الموجات العجيبة تفسد الأجهزة الحديثة ، وأن هناك مجالات مغناطيسية غريبة ودقيقة . ويقول ماك لوهان : فى داخل الهرم قوى خفية تلعب بنا ولا نعرف ما هى . .

أما الباحث الفلكى أريك نورمان فيقول : لابد أن الفراعنة قد استخدموا الموجات فوق الصوتية فى رفع الأحجار وتنظيفها أيضًا . .

ويقول من المؤكد أنهم عرفوا ذلك ، فلو عدنا إلى ما كتبوه . . وإلى ما نستطيع أن نفعله لو أننا فى مكانهم ، لوجدنا أنه يستحيل بالوسائل المادية أن يقيموا هرمًا واحدًا . .

ويعود أيضًا إلى ما قاله الكهنة . . وإلى ما كان سائدًا فى عصر بناة الأهرام من قدرات خارقة على تحريك الحجارة والحديد ، ويقول : لابد أن نرجع مرة أخرى إلى قراءة الكتب . كل الكتب القديمة على ضوء عصر الذرة والإلكترونيات وهندسة الفضاء . .

ويقول : إن علم الآثار هوأحدث العلوم الآن . . إنه علم المستقبل . . إنه العلم الذى يؤكد لنا جميعًا تلك الصلة بين الفراعنة وسكان الكواكب الأخرى . . إن تمثال رمسيس الثانى الذى يحمل على رأسه كرة وعلى جانبيها قام « هوائيان » ، رمز ـ ولاشك ـ إلى أن سكان مصر كانوا على صلة بشعوب أخرى فى أماكن أخرى من الكون . .

مثلاً : نجد فى الكتب القديمة والأساطير الشرقية عبارة : افتح يا سمسم . . وهذه العبارة كانت إذا قيلت انفتحت أبواب وتحركت جبال على النحو الذى نعرفه فى « ألف ليلة وليلة » . إن هذه العبارة حقيقة . وهى تؤكد أن صوت الإنسان وهو يقول افتح يا سمسم يمكن تضخيمه حتى يصبح موجات فوق صوتية قادرة على الكسر والقطع والرفع . . وقد فعل الفراعنة ذلك . هذا مؤكد !

ويقول العالم الرياضى الفلكى ساجان : إن هناك كائنات أخرى فى كواكب أخرى ، هذه حقيقة . أما أن الفراعنة كانوا على صلة بهم بشكل ما ، فليس لدينا دليل قاطع على ذلك . . وإن كنت لا أستبعد أن لهذه الكائنات الأخرى صلات ما بالأرض وسكانها ، وفى فترات مختلفة من تاريخ الإنسان ، أوتاريخ الأرض قبل أن يكون عليها إنسان . .

ومن الحواديت الطريفة أن أحد الأطباء الفرنسيين ، واسمه بوفيس ، عندما دخل الهرم الأكبر ، وجد فيه مخلفات كثيرة لزواره . ولاحظ أيضًا أن هذه المخلفات ليست لها رائحة كريهة . . وقد وجد بعض القطط قد نفقت فى داخل الهرم . . واقترب منها فلم يجد لها رائحة . وحمل قطة خارج الهرم . ثم قام بتشريحها . فوجد أن القطة لم تتحلل ولم تتعفن . كأنها محنطة . . ولما نشر هذا الخبر فى الصحف ، التقطه مهندس تشيكى اسمه كاريل دريال . . فصنع هرمًا صغيرًا فى بيته . وأودع فى داخل الهرم قطعة من اللحم وتركها عشرين يومًا . . فلم تتعفن . ثم عاد وترك تحت هذا الشكل الهرمى عشرين بيضة أربعين يومًا ، فلم تفسد . . ثم عاد فوضع « أمواس » الحلاقة لعشرين يومًا ، فلاحظ أن هذه « الأمواس » تكتسب حدة وكأن أحدًا لم يستخدمها . . وكان الجنود فى الحرب العالمية الثانية يضعون شفرات الحلاقة تحت أشكال

هرمية و يعرضونها للضوء . . ضوء الشمس أو ضوء القمر ، فكانت تزداد حدة بسرعة . .

فما الذى يفعله الشكل الهرمى فى الأشياء والناس وجثث الموتى ، وفى الضياء الذى ينعكس على الهرم نفسه ؟

ولا مفر من العودة إلى الحديث الذى أدلى به العالم المصرى د . عمرو جهيد بجامعة عين شمس ، وأنا أنقله من كتاب « آلهة وشياطين وعربات فضاء » من تأليف أريك نورمان . يقول نقلاً عن المقال الذى نشرته صحيفة « التايمس » الإنجليزية بتاريخ ١٤ يوليو ١٩٦٩ :

إن العلماء الذين يستخدمون الأشعة السينية ـ هم فى الواقع يستخدمون الأشعة الكونية ـ فى دراسة هرم خفرع بالقرب من الجيزة ، قد أذهلهم ما يجدونه على الأجهزة أمامهم . . فهناك تأثيرات غريبة على مسار الأشعة الكونية فى الأجهزة الحديثة جدًا التى يستعينون بها . إنهم كانوا يعملون ٢٤ ساعة فى كل يوم ولمدة عام ، على أمل أن يعثروا على مكان الغرف السرية فى داخل الهرم الذى يزن ستة ملايين طن من الحجارة . وهم يسجلون مسار الأشعة الكونية على أشرطة مغناطيسية . والفكرة هى أن الأشعة الكونية إذا سقطت على الهرم من جميع الجهات وكان الهرم أصم بلا غرف فى داخله ، فإن مسارها يكون واحدًا . ولكن إذا كانت هناك فجوات فى داخل الهرم فإن هذا يؤدى إلى سقوط أشعة أكثر على أجهزة كشف الأشعة الكونية . وبذلك نعرف أن هناك غرفًا فى مكان ما . وقد أنفق على هذا المشروع أكثر من مليون دولار.

وفى جامعة عين شمس أطلعنى د . عمرو جهيد على ألوف التسجيلات . ثم تردد بعض الوقت فى أن يقول لى إنه فى مأزق . ثم مد يده يمسك أحد الأشرطة المعدنية المسجلة . وقال إن هذا يتحدى كل القوانين المعروفة فى العلم

والإلكترونيات . وقد وضع أحد هذه الأشرطة فى العقل الإلكترونى ووجد حركتها غير مألوفة وغير طبيعية ، وهذا مستحيل من الناحية العلمية . وسألت د. جهيد عن كل هذه الجهود التى بذلت وذهبت هباء بسبب قوة خفية فى داخل الهرم ، لا يستطيع اليوم العقل أن يعرفها . وتردد د. عمرو جهيد ثم قال : إما أن تكون هندسة الأهرام فيها خطأ أساسى ، يؤثر على مسار الأشعة الكونية ، وإما أن هناك سرًّا فوق قدرة العقل الإنسانى لا يستطيع أن يعرفه . . هذا السر قل عنه ما شئت : السحر الفرعونى أو القوة الخفية أو لعنة الفراعنة . . إن فى داخل الهرم قوة تتحدى قوانين العلوم كلها ، هذه القوة التى فى داخل الهرم ما تزال قادرة على التأثير فى أحدث الأجهزة التى ابتدعها الإنسان .

ثم إن الفراعنة هم أول من أشار إلى أن هناك قارة غرقت ، وأن هذه القارة إلى الغرب ، وأن سكان هذه القارة الغارقة كانوا عمالقة ونابهين ، وأنهم جاءوا من أماكن أخرى ، أو عادوا إليها .

هذه القارة الغارقة هى التى عرفت فيما بعد باسم قارة « أطلانطس » ، وكانت تشغل المكان الذى يغطيه المحيط الأطلنطى . . ولم يبق من هذه القارة غير جزر كناريا التى تقع على خط مستقيم مع أهرام الجيزة ـ كما سوف نرى !

وقبل غزو مصر
أغرقتها السماء وأحرقتها

فى الساعة التاسعة من صباح يوم ٢٣ أكتوبر سنة ٤٠٠٤ ق.م خلق الله العالم ـ هكذا تقول التوراة . .

وفى نفس الساعة واليوم سنة ٨٠٠٨ ق.م ، سجلت النقوش فى سقف معبد دندرة أن شيئًا ما قد حدث فى هذا العالم كله . فقد اهتدى الفلكيون الفرنسيون إلى أن وضع برج الأسد فى هذه السنة الفلكية غريب ، واكتشف الفلكيون أن هذا التاريخ يوافق تمامًا اختفاء قارة أطلانطس تحت مياه المحيط الأطلنطى بين قارتى أفريقية وأمريكا .

ولكن النقوش الزاهية على جدران كهوف تسيلى على حدود ليبيا والجزائر ، تؤكد أنه فى نفس الساعة واليوم من سنة ١٦٠١٦ق.م وقف أحد الرعاة بين الأبقار والأغنام ، ووسط المراعى التى تتخللها الأنهار المتدفقة رأى شيئًا ناريًا يهبط من السماء وتنفتح الأبواب ويتقدم نحوه عدد من الذين يرتدون الملابس البيضاء والخوذات البلاستك ، ثم يختفون ، فيسرع إلى جدران الكهف يسجل هذا الحدث الجليل . وتدل تحليلات الألوان على الجدران على عمر هذه المواد التى استخدمت فى تجميل هذا الكهف التاريخى .

ولكن الأستاذ تولِلى أمين المتحف المصرى فى الفاتيكان ، قد اكتشف بعض

أوراق البردى التى ترجع إلى عصر الملك تحتمس الثالث « ١٤٨٣ ـ ١٤٥٠ ق . م » تقول ـ وهذه ترجمة حرفية ـ : فى الشهر الثالث من الشتاء من السنة ٢٢ ، وجد الكاتب الجالس أمام المعبد شيئًا ناريًّا فى السماء ، طوله ١٥٠ قدمًا وليس له دخان ولا صوت ، يقترب من الأرض . فلم يكد يراه بوضوح حتى انكفأ على وجهه فى حالة من الفزع أقرب إلى الموت ، ولما رفع رأسه وجد أناسًا لم ير لهم مثيلاً من قبل . . ثم دخلوا الجسم المضىء بلا نار ، واتجهوا إلى السماء ثم إلى الغرب .

وتقول هذه البردية فى موقع آخر : وهذه الأنوار بلا نار ولا ضوضاء تجىء من الغرب وإليه تعود . .

فما هذا الذى فى الغرب ، وإليه تعود الأشياء المضيئة ؟ أو تعود إليه الأرواح؟ فقد كان الفراعنة يعتقدون بعالم إلى الغرب هو « عالم الروح » ، أو «عالم تروح إليه » الأشياء الهامة . . . وتجىء منه الشخصيات الهامة . . أو هذا المكان هو مصدر العبقرية . .

لابد أن نعود إلى مصر الفرعونية ، وإلى الهرم الأكبر . ولكننا هذه المرة سوف ندق أبواب معبد إيزيس . فقد ذهب إلى هذا المعبد حكيم من بلاد الإغريق اسمه سولون . يقال إنه جاء هاربًا من بلاده ؛ ففيها من المشاكل ما يجعل أى سياسى يندم على أنه قدم شيئًا لبلاده . فالناس يطلبون كثيرًا ، وينسون أكثر . وقد قام سولون بإصلاحات اجتماعية وسياسية ، كانت أكثر مما يحتمل الناس ، وأقل مما كانوا يحلمون . ونصحوه بأن يذهب إلى مصر ، ففيها الدواء لكل أصحاب النفوس المعذبة .

يقول سولون : ووجدت أنه من المناسب لصحتى ولحالتى العقلية أن أستريح فى مصر .

وفى إحدى الليالى القمرية من سنة ٥٩٠ ق.م ، جلس سولون مع أحد كهنة إيزيس . راح سولون يروى أجمل ما أبدعه الإغريق من قصص بلادهم . وهو لاشك يعزى نفسه بماضى بلاده عن حاضرها الأليم ومستقبلها الأكثر إيلامًا .

ولكن الكاهن المصرى ضحك منه قائلاً : أنتم أيها الإغريق أطفال صغار. إن أشياء تافهة تشغلكم ، وهذه القصص الساذجة تستغرقكم . إن لدينا أسرارًا تهز أركان الأرض . . وروى له أنه كانت هناك أرض إلى الغرب . وهذه الأرض وسط البحر . وهى أرض غنية بخيراتها . الشوارع مستقيمة . والمدن دائرية والأرض تنضج الفاكهة أسرع مما تفعله أرض مصر . . والأنهار تنبع من السماء ، وتصب فى البحر أمام عيون الناس . وحيوانات البر تزحف إلى الماء ثم تعود تصعد إلى الشاطئ ، دون أن تؤذى أحدًا . . بل إن الحيوانات نفسها تحظى بقداسة عظيمة . وهذه البلاد عشرة من الملوك يتبادلون الحكم بالعدل . وليست هناك خلافات بين الناس على شىء ، بل إن أحدًا إذا كذب عاتب نفسه ، وإذا صدق فهو لا يطلب جزاء من أحد . وفى هذه البلاد صداقة بين الطيور والأسماك . ومن عجائب هذه البلاد ـ وهذا الشىء غريب حقًا ! ـ أن العصافير لا تأكل سنابل القمح ، إنما تترك ذلك لأهل البلاد . أما المرأة فى الجزيرة السعيدة فهى مشغولة بتربية الأولاد ، وقد تركت الحقل والحرب للرجل. والإنسان السعيد جدًا فى هذه البلاد السعيدة هو الطفل . .

ثم تحدث الكاهن المصرى إلى سولون عن نظام حفظ الأطعمة . ولكن الذى بهر الكاهن المصرى هو نظام المواصلات فى تلك البلاد وسرعة الانتقال من مكان إلى مكان عن طريق أدوات أو « عربات ليس لها صوت » .

وقال له : لا تكاد تسأل عن أحد حتى تجده أمامك ، كأنه سمعك وأنت تبحث عنه .

وعاد سولون إلى بلاده ، وجمع الناس حوله فى مدينة أثينا وأخذ يروى الأعاجيب التى سمعها فى مصر . ووعد بأن يكتب هذه الملحمة ، وأن ينظمها شعرًا . ولكنه لم يفعل . وبعد ثلاثة أجيال انتهت هذه القصة إلى فيلسوف الإغريق أفلاطون . وكان فى السبعين ، وكانت جراحه لم تجف ، فقد أعطى فرصة عمره وفشل . فأفلاطون فيلسوف مثالى حالم بعالم أفضل . عالم يتحقق فيه العدل بين الناس ، ويسود العقل كل علاقات الناس . أعطاه أحد الملوك جزيرة وقال له تفضل وكن ملكًا على الناس ، وطبق عليهم كل فلسفتك . فاليوم أنت الفيلسوف والملك ، أو أنت الملك الفيلسوف .

ولم يفلح أفلاطون فى أن يجعل هذه الجزيرة جنة العدل والحرية والجمال والحكمة . وبذلك أثبت أفلاطون أنه ليس كل فيلسوف قادرًا على أن يكون أحسن ملك ، وفى الوقت نفسه فإن كل ملك ليس قادرًا على أن يكون أفضل فيلسوف . وأروع آمال الفيلسوف أن يطبق أفكاره على الناس . ولكنها آمال وأحلام انهارت أمامه ، أو هو الذى انهار أمامها . . وفى هذه الأثناء من ٣٥٥ ق . م سجل أفلاطون حكاية القارة السعيدة التى أسماها « قارة أطلانطس » ، والتى كانت إلى الغرب ثم غرقت . وسجل أفلاطون هذه القصة فى كتاب اسمه « كريتياس » لم يكمله هو أيضًا . .

ومنذ ذلك الحين ، لم يتوقف العلماء عن البحث عن القارة الخارقة . وقد أحصت المكتبة الأهلية فى باريس عدد الكتب التى صدرت عن «أطلانطس» حتى سنة ١٩٤٦ بخمسة آلاف كتاب . ولكن مكتبة الكونجرس الأمريكى نشرت بيانًا للكتب التى صدرت فى هذا القرن حتى سنة ١٩٧٢ ، وقدرت

عددها بألفي كتاب، من بينها ألف كتاب ظهرت مع دخولنا فى عصر الفضاء.

وفكرة الأرض البعيدة السعيدة قديمة جدًا . فالإنسان يحلم من ملايين السنين بأن تكون هناك أرض أفضل ، يعيش فيها أناس أعدل وأحكم وأجمل . .

وهناك شعوب ترى العصر الذهبى وراءها ، وتحزن عليه وتتمنى أن يعود .

وشعوب ترى أن العصر الذهبى وجنة الإنسان سوف تكون فى المستقبل ، فهى تعيش للغد مثل أمريكا وروسيا ، فهذه الشعوب أدمنت المستقبل .

وأفلاطون نفسه له كتاب اسمه « الجمهورية » ، والفارابى الفيلسوف العربى له كتاب اسمه « المدينة الفاضلة » . وفى القرن السادس عشر ظهرت «المدينة الفاضلة - أو يوتوبيا » للفيلسوف الإنجليزى مور . . وعشرات من الجزر السعيدة التى عاش أو سوف يعيش فيها الإنسان فى أمان وأمن ومساواة ورخاء . فهل كان أفلاطون عالمًا بجزيرة أعظم وأضخم من التى أعطيت له وفشل فيها ملكًا وفيلسوفًا ؟!

إن أبحاث العلماء بعد ذلك بمئات السنين تؤكد أنه لم يكن كذلك . فهناك عشرات الأدلة القديمة والحديثة ، على أن جزيرة كانت هناك ، ولأسباب فلكية أو غريبة لا نعرفها ، اختفت . كما أن أوراق البردى الفرعونية تؤكد أن مجتمعًا سعيدًا قويًا كان هناك ، وأن هذا المجتمع عندما قوى واشتد وقرر غزو مصر واليونان ، نزلت عليه السماء ، فأنزلته تحت الماء . هناك إحدى أوراق البردى من الأسرة الثانية عشرة تؤكد هذا المعنى .

علماء الفلك السوفييت درسوا القمر ، فوجدوا أن به تجويفًا بركانيًا قطره

مئات الكيلومترات ، وأن هذا التجويف هو ما تبقى من جسم هائل انفصل عن القمر وانقض على المحيط الأطلنطى فأغرق الأرض كلها . فهل هذا هو الطوفان الذى تحدثت عنه الكتب السماوية والكتب الهندية وكتب الموتى عند التبت وملحمة قلقامش البابلية ؟ ! إن هناك أكثر من طوفان قد أغرق الأرض . . من بينها طوفان نوح عليه السلام . فسكان الأرض قد أبيدوا أكثر من مرة . وحضارة الإنسان هذه ليست إلا واحدة من عدة حضارات ظهرت وازدهرت أو قطعت أو قصفت قبل الأوان ، ثم أعيدت للحياة من جديد بشكل جديد . .

والذى ينظر إلى الخرائط القديمة ، يجد أن عددًا كبيرًا من الجزر قد ظهرت فى الشمال وشرق المحيط الأطلنطى . . ويكفى أن تنظر إلى الخرائط التى درسها كولمبوس قبل اكتشافه لأمريكا سنة ١٤٩٢ ، فقد كانت عليها جزيرة كبيرة اختفت .

وكان الغرض من رحلة كولمبوس هذه إثبات أن الأرض كروية . . بينما نجد أن الطفل الفرعونى قبل ذلك بأربعة وثلاثين قرنًا كان يعلم أن الأرض كروية . فقد نشر د . مرسر أن النقوش التى وجدها فى أهرامات سقارة تؤكد لنا هذا المعنى ، وبمنتهى التواضع ، كما أن إحدى أوراق البردى الموجودة فى متحف أرميتاج بمدينة ليننجراد تؤكد أن الفراعنة كان لديهم اعتقادان : أن الأرض قرص مسطح يطفو على الماء ، وأن الأرض كرة سابحة فى الفضاء ، وأنهم تحولوا عن الاعتقاد الأول . ولكنهم لم يذكروا لنا كيف عرفوا هذه الحقيقة . ولم يعد أحد يذكرها بعد ذلك . ويقول العالم الفلكى الروسى فياكفيتش إن الهيئة الفلكية لوجود الهرم الأكبر تؤكد أن الفراعنة لديهم علم دقيق جدًا لحركة الكواكب والنجوم ، وأن معلوماتهم عن الأرض صحيحة .

ولكن أكثر هذه الوثائق الموضحة لهذه الحقائق قد اختفت أو أغرقت أو أحرقت ، أو أنها فى مكان ما من الهرم الأكبر أو بالقرب منه . .

أما الرحالة الأندلسى أبو عبد الله الإدريسى « ١١٠٠ ـ ١١٦٦ » فى كتابه «نزهة المشتاق فى اختراق الآفاق » ، فيروى قصة سمعها تقول إن جماعة ركبوا سفينة ووقفوا عند جزيرة كل أهلها من الماعز ، ثم اتجهوا إلى جزيرة أخرى كل أهلها من العمالقة ، وقد أسرهم الملك ووضع عصابة على أعينهم . ثم أنزلهم فى إحدى السفن ، وبعد أيام وجدوا أنفسهم على الشاطئ الأفريقى . هذه القصة نجدها عند البدائيين من الهنود الحمر فى الجانب الآخر من شاطئ المحيط الأطلنطى . ونجد أيضًا جزر «الكناريا » الأسبانية القريبة من هذه الجزيرة التى تحدث عنها الإدريسى ، وقد سميت بهذا الاسم لكثرة ما فيها من الكلاب . كما أن جزيرة كابرى سميت بهذا الاسم لكثرة ما فيها من الماعز . .

ويقول الإدريسى أيضًا : إنه سمع عن شعوب كانت سعيدة ثم أصابتها الصواعق فتحطمت واختفت تحت الماء .

ومن الغريب أن سياسيًا مثل جلادستون قد طلب من مجلس الوزراء البريطانى فى سنة ١٨٨٢ أن يرصد مبلغًا من المال للبحث عن قارة أطلانطس . .

ووجود هذه القارة ، قد أكد عند العلماء حقيقة هامة : هى أنه ما دامت هذه القارة الغارقة كانت موجودة بين قارتى أفريقيا وأمريكا ، فلابد أن نجد أثرًا لهذه الصلة بين العالم القديم والعالم الجديد .

واتجه العلماء إلى البحث عن التأثير والتأثر بين القارتين . . فوجدوا ألوف الأدلة . مثلا : توجد فى أفريقيا طيور أمريكية منتشرة بين الهنود الحمر . .

ويوجد التقويم الفرعوني كما هو عند سكان بيرو الأصليين ، والفراعنة كانوا يحسبون السنة ١٨ شهرًا ، والشهر عشرين يومًا ، ثم يضيفون خمسة أيام للأعياد في نهاية كل سنة . ثم إن الديانات الفرعونية تعبد الشمس ، وكذلك أبناء المكسيك القديمة وبيرو . ولاحظوا أيضًا أن الإنسان من منطقة الباسك له ملامح وفصائل دموية تشبه تمامًا ملامح وفصائل الدم عند أهل بيرو . كما أن لديهم أساطير قديمة هي بعينها الموجودة عند أهل المكسيك القدامي وعند الهنود الحمر . بل إن هناك أسطورة الملك الأزرق ، أو الدم الأزرق النبيل ، هي هي عند ملوك المكسيك القدامي . بل إن الملك مونتروما كان يقول إن أجدادي ليسوا من هنا ، إنهم من هناك من قارة في البحر هي أسعد مكان بين الأرض والسماء .

وعندما كانت إحدى الشركات الفرنسية تمد الأسلاك البحرية بين أوربا وأمريكا سنة ١٨٩٨ وعلى عمق ثلاثة كيلومترات ، التصقت بالأشياء أنواع من الأصداف والقواقع لا توجد إلا في المياه العذبة . . كما أنهم وجدوا نوعا من الزجاج البللوري الغريب . . ووجدوا أنواعا من الأسلاك البلاتينية لا يمكن صنعها إلا في درجات حرارة عالية جدًا . . فما معنى ذلك ؟ معناه أنه كانت هناك حياة ، وكانت هناك أنهار ، وكانت هناك صناعات متطورة جدًا . . ثم نزلت إلى الماء . . إلى القاع . . .

ومن أربعين عامًا التفت الكرة الأرضية حول رجل شهير اسمه «إدجار كيس» ، هذا الرجل هو وسيط روحي . والذي جعل الناس يصدقونه هو أنه أخبرهم بحقائق غريبة قد وقعت . وأنه استطاع - برغم أنه غير متعلم - أن يحل لهم مشاكل رياضية معقدة جدًا في لحظات . . وأنه استطاع أن يخبرهم عن التركيب الجيولوجي لكثير من الكواكب . وأنه استطاع أن يشخص أمراض

الكثيرين ويعالجهم أمام الأطباء الذين لا يصدقون ما يرون ، لولا أنه صحيح . هذا الرجل فى جلساته الروحية التى استغرقت عشرين عامًا استدعى ٦٤١ من أرواح موتى قارة أطلانطس ، وسألهم كيف كانت هذه القارة وكيف كانت الحياة فيها ، وما الذى أحرقها ثم أغرقها ؟

يقول كيس : لقد كانت هذه القارة متطورة جدًا . عرفت الذرة وعرفت أشعة الليزر . . وكانت تكدس القنابل ، وكانت دولة استعمارية طاغية باغية . وقد كانت تريد استعمار مصر واليونان . وحدث خطأ هندسى . . فأطاح بها كلها ـ وهذا ما يمكن أن يتكرر فى عصرنا هذا . فاختفت من الوجود كما اختفت من قبل مدينتا سودوم وعمورية أيام النبى لوط على نحوما جاء فى التوراة . . ويفسر العلماء انهيار هاتين المدينتين ، بأنه نتيجة انفجار ذرى أو سقوط إحدى سفن الفضاء فى البحر الميت ـ وهذه قصة أخرى سوف نعود إليها فيما بعد .

أما الشىء العجيب الذى قاله إدرجار كيس ، والذى قلب الأوضاع تمامًا فى سنة ١٩٤٠ ، هو أنه قال عندما تلبسته إحدى أرواح ضحايا قارة أطلانطس : أنا واحد من هذه القارة أتحدث إليكم من فوق هرم الملك خوفو، إننى أرى بوضوح جدرانًا غارقة أمام ساحل ميامى الأمريكى . . هذه هى البداية ! ثم أفاق كيس من الغيبوبة .

واتجه بعض الغواصين إلى ساحل ميامى ، فلم يجدوا شيئًا . ولكنهم بسرعة اتجهوا إلى جزيرة « بمينى » ، إحدى جزر بهامس والتى تبعد عن الساحل الأمريكى خمسين ميلاً . هناك تحت الماء وجدوا جدارًا سميكًا طويلاً . . قد علاه الماء سبعة أمتار . هذا الجدار هو بقايا قلعة . . أو بقايا معبد . . أو بقايا متحف . . ويرجع عمره إلى ثمانية آلاف سنة . .

ولما سألوا كيس مرة أخرى عن هذا الذى تحدث إليه ، قال : إنه نفس الرجل الذى ظهر لنابليون فى مصر ، وأخبره بفشل الحملة وضرورة العودة إلى باريس ، وهى حادثة صحيحة رواها نابليون لطبيبه فى منفاه فى جزيرة سانت هيلانة فيما بعد .

ولكن أحد علماء الجيولوجيا اليونانيين فى سنة ١٩٦٠ لاحظ أن الذين ترجموا أوراق البردى المصرية قد أخطئوا ، وأن هذا الخطأ قد نقل قارة أطلانطس من شمال الإسكندرية إلى المحيط الأطلنطى ، وقد كان الفراعنة يستخدمون رمزا للدلالة على رقم ١٠ هو نفسه يصلح للدلالة على رقم ١٠٠ ولذلك فحجم قارة أطلانطس عشر هذا الحجم الذى وصفه سولون وأفلاطون وغيرهما .

أما هذا العالم اليونانى فهوالأستاذ جلافوبولوس . وعلى ذلك فموقع هذه القارة هو فى المكان الذى اختفى من جزيرة سانتوريا بالقرب من كريت وتمتد إلى شمال الإسكندرية . .

ولكن كيف نجد كلمة : ماما ، بمعنى الأم ، واحدة فى كل اللغات القديمة والحديثة ؟ هل لأن هذه الكلمة جاءت من قارة أخرى اسمها : مو ؟ وهذه القارة كانت مثل أطلانطس وغرقت فى المحيط الهادى ؟ هذا ما سوف نراه !

معنى جديد
لكتب قديمة جدًا ..

فى الصفحة الأولى من كتابه « القارة الضائعة » ، جاءت هذه العبارة التى لم تتم والتى تقول : لا توجد فكرة سخيفة واحدة لم يقلها فيلسوف ، ولا توجد خرافة لم تصدقها أو تروج لها امرأة !

ـ انتهى الكلام .

ولا أحد يعرف بالضبط ما الذى كان العالم الأمريكى وليام روكول يريد أن يقوله بعد ذلك . وإنما اكتفى بهذه العبارة وترك لنا أن نفهم ما يعجبنا . ولابد أنه يريدنا أن نقتنع أنه مادام ليس فيلسوفا ولا امرأة ، فلن تجد عنده فكرة سخيفة أو خرافة ، وإنما هو عالم كبير يقلب فى الأوراق والأحجار والكهوف ويتطلع إلى السماء ويطلب من الله أن يهديه إلى كيف بدأت الحياة على هذه القارة الخارقة . .

لقد اهتدى من دراسته للشعوب البدائية فى أمريكا إلى أنها تروى قصصًا متشابهة تمامًا مع ما جاء فى « كتاب الموتى » عند الفراعنة ومع ما جاء فى سفر «التكوين » فى التوراة . . فقد لاحظ أنهم يتحدثون عن نشأة الكون . وكيف خلق الله الماء والهواء ثم التراب . . ثم أخرج الإنسان من الماء أو أنزله السماء أو الشمس . . ثم كيف أن الحياة بدأت على الأرض برجل وامرأة . . والذى

يبعث على الدهشة ، هو أن هناك مسافة هائلة من الماء بين قارتى أفريقيا وأمريكا . . ولكن هذه الدهشة تزول إذا عرفنا أن هناك أرضًا بين القارتين . وهذه الأرض قد غرقت فى ظروف غامضة .

وقد أعيدت الأبحاث تحت الماء من خمسين عاما ، بالقرب من جزيرة اسمها « بمينى » ضمن جزر بهاماس القريبة من الشاطئ الأمريكى . وكلمة «بمينى » هذه ، معناها فى لغة سكانها الأصليين : الربوة العالية ، أو العرش الحجرى على الماء . ويحاول الكاتب اليهودى بيير كرنك أن يؤكد لنا أن هذه كلمة « عبرية » وأنها من كلمتين « أيبن » بمعنى حجر ، « وبمينى » بمعنى البناء ، أى أنها البناء الحجرى . وأن الذى اكتشف هذه الجزيرة واحد من ضباط خريستوف كولمبوس .

ويقول بيير كرنك هذا إن الجزيرة قد اكتشفت فى يوم غريب هو ١٢/١٢/١٥١٢ . .

ويضيف إلى ذلك أن كولمبوس نفسه يهودى ، وأن فى مذكراته جاءت آيات كثيرة من التوراة . ويؤكد أنه يهودى لأنه مجهول الأصل ويرى أنه أخفى أصله حتى يستطيع أن يتسلل إلى بلاط ملك أسبانيا . والحقيقة أنه لم يخف أصله وإنما هو إنسان عادى له أصل ، وإنما ليست له أصول أو فروع نبيلة . . ثم إنه عاش بعيدًا عن إيطاليا ، لأن فى رأسه فكرة تسلطت عليه ، وهى أن يجد بلاد الهند. وقد عثر على أمريكا وهو مؤمن بأنها ليست إلا بلاد الهند !

وهذا المؤلف الفرنسى بيير كرنك يقلب فى القصص الشعبية لسكان جزيرة بمينى فيجد أنهم كانوا يتحدثون عن « ينبوع الحياة » ، أو « عين الحياة » ، أو مصدر الشباب الدائم فى هذه المناطق . . وأن الجدران المنحدرة تحت الماء عليها نقوش وكلمات هى بعينها قد جاءت فى التوراة . ولكن عمر هذه

الجدران أسبق من التوراة بألوف السنين . بل إنها قد وجدت قبل أن يخلق الله آدم (التوراة تقول إن الله خلق آدم سنة ٤٠٠٤ ق.م ولكن العلم الحديث أثبت أن الله خلقه قبل مليون سنة . وفى أرض تنزانيا) .

ويرى هذا الباحث الفرنسى أن كولمبوس هو النبى اليهودى الثالث والعشرون ، وأنه عندما ذهب يكتشف أمريكا كان ملهماً ، فالتوراة تحدثت عن جنتين : جنة بعد الموت ، وهذه الجنة التى يعيش فيها الناس وهم أحياء : أمريكا . . وأن الجنتين من نصيب اليهود ! أى أن الدنيا والآخرة لليهود وحدهم !! .

ولكن إذا استبعدنا هذا الهوس الدينى عند هذا الرجل ، فإنه قد اهتدى إلى مقارنات عجيبة بين التوراة وبعض القصص الشعبية عند سكان جزر بهاماس . . وهذه القصص ذهابًا وإيابًا مرت بمصر ، وتوقفت عند الكهنة المصريين . والكهنة هم الذين أضافوا لها وعدلوها . فلابد أن نبحث عن أصابع الفراعنة وأنوفهم فى كل هذا التاريخ القديم للحضارة الواحدة بين قارات آسيا وأفريقيا وأمريكا . .

فالحضارة الإنسانية قد بدأت فى جزيرة بمينى . . أو أن بقايا هذه الحضارة القديمة التى انتقلت من مصر وإليها قد عاشت على قارة أطلانطس ثم غرقت . . ولم يبق إلا هذه الجزر الصغيرة التى تدل عليها : جزر كناريا وجزر أزورس وجزر بهاماس !

وقبل ذلك كانت هناك الحياة أروع فى المحيط الهادى بين أمريكا وآسيا . واهتدى العلماء إلى أن هناك قارة عاشت من ١٥٠ ألف سنة ، وغرقت ـ أو أنها كانت موجودة بالضبط منذ ١٤٤٤٤ ثم غرقت منذ ٨٨٨٨٨ سنة ، وأن

الأحجار التى عثروا عليها فى أحد معابد لهاسا عاصمة التبت يرجع تاريخها إلى ٢١٢١٢ سنة . .

أما بداية هذه الملحمة فقد ذهب كولونيل فى الجيش الإنجليزى سنة ١٨٦٨ اسمه شرشورد إلى أحد الأديرة ، ورآه أحد الرهبان وقال : يا ولدى أنت مشغول جدًا .

ـ نعم يا أبى .

ـ ما الذى يشغلك ؟

ـ وكيف عرفت أننى مشغول ؟

ضحك الراهب يقول : إن الذى يتأمل الناس من سبعين عامًا مثلى لا يخفى عليه أنك تبحث عن أصل سكان هذه البلاد . .

ودون أن يتركه يعرب عن دهشته ، قال له الراهب : تعال نشرب معًا ، ونأكل معًا ، حتى إذا جاء الصباح سوف أدلك على كنز عظيم . أنت رجل محظوظ يا ولدى !

وبعد أن أكلا وشربا ، قال الكولونيل للراهب : ولكننى لن أنام الليلة يا سيدى .

ـ بل ستنام جيدًا . لقد وضعت لك فى الطعام شيئًا يرميك على فراشك حتى الصباح . اصبر يا ولدى اصبر . .

جاء الصباح وكان الكولونيل منتعشًا وذهب إلى الراهب . وأخذه إلى أحد الدهاليز فى دير كبير . وأضاء له شمعة . وقال له : أمامك كل تاريخ هذه المنطقة . وتركه . .

وظل شرشورد يقلب فى كوم من الأحجار لمدة خمسين عامًا . كل قطعة حجر هى « حجر رشيد » صغير . وكل حجر قد احتفظ بكلمة أو ببعض كلمة ، حتى اهتدى إلى حقيقة ما جرى فى هذا المكان من العالم .

من المؤكد أنه كانت هناك قارة اسمها « مو » . و « مو » معناها الأم . وقد بقيت كلمة « مو » أصلاً لكلمة « الأم » فى كل لغات العالم . . فمن هنا خرجت كل الأمهات . وآدم وحواء لم ينزلا فى أى مكان إلا هنا . . وكل الحضارات قد نبعت من هذه القارة . وكان أهلها من البيض ذوى العيون الزرقاء والشعر الذهبى . وكانوا طوال القامة . الأحجار تؤكد هذه الصفات .

ومصر الفرعونية تؤكد ذلك . فكتاب الموتى الذى عنوانه باللغة الفرعونية «البر ـ مو ـ حرو » ومعناها الذين اختفوا فى الشرق . . أو الذين اختفوا نهارًا ، وإن كان المعنى الحقيقى له هو اختفاء « مو » نهارًا ـ فكتاب الموتى الفرعونى ليس إلا سجلاً حديثًا لما حدث فى أرض « مو » . والكتاب مرثية بالغة موجعة للقلب على ما أصاب أهل هذه القارة ، الذين طلعت عليهم الشمس يومًا ، ولم تطلع فى اليوم التالى . ففى ذلك اليوم اقتربت الشمس من أرض « مو » وفزع الناس واتجهوا إلى قصور الملوك . . يركعون ويصلون . ثم اختفى كل شىء .

وفى « كتاب الموتى » عبارة تقول : واقتربت نجمة من الأرض . . وما زالت تقترب . . وتحول كل شىء إلى نار ودخان . . وجاء ماء البحر فأطفأ كل شىء . .

« وكتاب الموتى » يقول : هناك تروح الروح ولا تجىء . . هناك الراحة التى ينشدها الجميع . . هناك الجنة التى وعد بها الكهنة شعب الملك .

وفى الفصل الثانى والثلاثين من كتاب الموتى هذه العبارة : الله العلى القدير قد جعلنى ملكًا على عالم الموتى ، ذلك العالم الهادئ الجميل . .

وعبارة أخرى : إنه عالم ابن السماء المعذب من أجل الشعب الذى غاب نهارًا . .

ثم هذا الدعاء العجيب المنقوش على الأحجار التى عثر عليها الكولونيل شرشورد : ياربـه . . يارع ـ مو ـ يا ملك الشمس أنقذ عبيدك الطيبين ! (وسوف ترى فيما بعد أن عددًا من الملوك والرؤساء يطلقون على أنفسهم ملوك الشمس : أخناتون وزرادشت والإسكندر الأكبر وجوليان وفريدريش الثانى ونابليون وهتلر وماوتسى تونج) .

ولذلك يجب أن نعيد قراءة ثلاثة كتب قديمة على أن لها معنى جديدًا : كتاب الموتى عند الفراعنة ، وسفر النبى « حزقيال » فى التوراة ، وكتب أخنوخ الحبشى أو السلافى ورحلاته بين السماء والأرض . . إن كتب أخنوخ هذه هى أعجب ما قرأنا بالآرامية أو العبرية أو اليونانية . .

ومن أغرب ما وجد الكولونيل شرشورد هذا ، قصة تشبه قصة بلقيس ملكة سبأ ـ التى ذهبت من أرضها فى مأرب إلى الملك سليمان . ويقال إنها حملت منه وأنجبت ملوك الحبشة (قصة بلقيس هذه موجودة فى سفر « الملوك الأول » فى التوراة وفى القرآن الكريم فى سورة سبأ) . ولكن هذه الملكة لم يرد عنها اسم ولا شكل ولا ملامح ، لا فى التوراة ولا فى القرآن . . هل كانت سمراء أو شقراء ، قصيرة أو طويلة جميلة أو دميمة ؟ لا أحد يعرف بالضبط . حتى اسمها «بلقيس » ليس غريبًا . وإنما هو يونانى أطلقه المؤرخون . . بمعنى : الغاوية أو الغازية . .

ـ هذه القصة قد وجدت لها نظيرا فى القصص الشعبية لأهل مو . .

وكل سكان هذه القارة ٦٤ مليونًا . واختفت هذه القارة بعد اختفاء قارة أطلانطس بأربعة آلاف سنة . . ولم يبق شيء يدل على بقاياها سوى جزر متناثرة فى المحيط هى : ماركيز وهاواى وماريانا وكارولين وجيلبرت ومارشال وتونجاس وساموتهايتى وكوك ، وجزر عيد الفصح هذه بتماثيلها الهائلة ، فقد كانت معبدًا للقارة الغارقة .

يقول المكتشف الإنجليزى شرشورد : لقد توفرت على هذه الأحجار ، ولا أبالغ إذا قلت إننى كنت أضعها على أذنى ، وأكاد أسمع ما تقول . إننى لم أصدق الكاهن عندما قال لى : عينك لا تكفى لكى ترى . . لابد أن تستخدم أذنيك أيضًا . . ولم أعرف بالضبط إن كان يقصد أن أذهب إلى الكهنة الآخرين أسألهم وأسمع منهم . . أو أن هذه الأحجار لها صوت . وأن هذا الصوت لا يسمعه إلا من عاش من أجلها وتقلب عليها وبينها . . فى بعض الأحيان سمعت أصواتًا . هل هذا الذى سمعته حقيقى ؟ أو أنها الفكرة التى تسلطت على رأسى خمسين عامًا ؟ . لقد سمعت ولم أفهم . . وتمنيت لو كنت أستطيع أن أفهم . . ولكننى قرأت كما لم يفعل أحد من قبل . . وأهم ما قاله شرشورد فى دراساته الطويلة وبعد زياراته لأهرام الجيزة ومعبد الكرنك : لولا كتاب الموتى ما عرفت موقع هذه القارة ، ولا حتى كيف عاش أهلها . . ولا حتى كيف ولماذا أحرقتهم السماء وأغرقتهم الأرض ! وهذا بالضبط ما يرتله جماعة « الصليب الوردى » الذين يصلون فى غرفة الملك خوفو كل سنة : يارب . . يارع . . ياقادر على كل شيء . . يا من أضاءت للناس طريقهم ، ولم تضئ نفوسهم المظلمة بعد . . إننا نطلب منك الرحمة بهم حتى لا يصيبهم ما أصاب أهل « مو » من عشرات الألوف من السنين ! !

إن المكتشف شرشورد لم يقفز من ملاحظة عابرة إلى نظرية راسخة ، وإنما هو يتأنى طويلاً وعميقًا . كما وضع الأحجار الواحد إلى جوار الآخر ليعرف تاريخ المائة والخمسين ألف عام السابقة على الميلاد . فقد صبر طويلاً على متاعب الرهبان والترجمة والنشر . لقد كان شعاره بسيطًا جدًا وهو يشبه العلامات التي نضعها عند تقاطع الطرق : قف انظر . اسمع . . ثم تحرك !

وكذلك فعل شرشورد وهو يفك أسرار الأحجار القديمة !

أما في سنة ١٩٥٨ فقد أصدر العلماء الأمريكان والروس بيانًا مثيرًا جدًا . البيان صدر من معهد سمثونيان الذى يعمل به د. فاروق الباز . يقول البيان :

« إن أهل الإسكيمو قد هاجروا من الجنوب إلى الشمال . وكانت هجرتهم مفاجئة . السؤال : كيف قرروا معًا ؟ وكيف هاجروا فجأة ؟ ولماذا ؟! وما الذى حدث في الجنوب حتى جعلهم يهربون إلى الشمال من آسيا ومنغوليا ؟ ولماذا تركوا الجنة في جزر الجنوب ؟

إن الإسكيمو لا يعرفون شيئًا مطلقًا عن العالم الخارجى . ولا يعرفون شيئًا عن الجنوب . أما نحن فليس لدينا جواب واحد على ذلك . ولكن يجب أن نفكر في هذه المسألة . . » .

يقول علماء الفضاء الأمريكان والروس معًا في هذا البيان الخطير : ولنفرض أنه كانت هناك وسائل متطورة لتهجر هؤلاء الناس إلى الشمال . . ولنقرأ ما سجلته أغانى الإسكيمو في ألوف السنين . . بعض هذه الأغنيات الشعبية تقول : إن بعض القبائل حملوها إلى الشمال جوًا . . حملوها على طيور ضخمة مصنوعة من الحديد ، هذه الطيور حملت ألوف الناس ثم أنزلتهم في الشمال . .

ثم أقامت لهم البيوت وتركت لهم الطعام وعادت لتحمل غيرهم . فهل نستطيع اليوم أن نرفض دلالة مثل هذه الأغانى ؟! لابد أن نعود إلى مغامرات الأمير راما الهندى من ألوف السنين ـ الكتاب اسمه « رامايانا » ـ لنجده يتحدث عن الطائرات والصواريخ والأطباق الطائرة وعن مهاجمة الأعداء بالغازات التى تسيل الدموع وتجعل القوات المعادية تستغرق فى النوم . . بل إن نباتات الحقول كانت تذوى حتى تموت ؟!!

ثم لابد أن نعود إلى القراءة والتفكير فى هذا الذى رآه النبى حزقيال بالقرب من مدينة بغداد منذ ٢٥ قرنًا . .

وكانت رحلة النبى إدريس
فى إحدى سفن الفضاء

انظروا إلى الوراء بلا غضب !

لا أعرف متى ارتفعت هذه الصيحة ، وجاءت من بعدها دراسات علمية جادة تقلب فى الآثار والكتب القديمة ، وترى فيها شيئًا جديدًا ، فليس كل شيء ذهب يجب ألا يعود . . وإنما من الممكن أن يعود ومعه معنى جديد لم يكن على بال أحد ألوف السنين .

فمثلاً ـ وكما رأينا ـ فإن « كتاب الموتى » الفرعونى ليس مجرد صلوات أو دعوات للميت بالحياة والبركة بعد ذلك . وإنما « كتاب الموتى » بفصوله الـ ١٩٠ ليس إلا تأبينًا وبكاء على أناس كانوا يومًا ما ، ثم راحوا . . أو «ذهبوا نهارًا » ولم يعودوا ، فقد اختفوا تحت الماء . ويرى بعض العلماء المجتهدين أن هؤلاء الذين اختفوا تحت الماء ، ليسوا إلا سكان قارة كانت فى المحيط الهادى وزالت من ألوف السنين . . وفى « كتاب الموتى » وفى بقايا هذه القارة ما يؤكد هذا المعنى . .

ولابد أن نقرأ أيضًا الكتاب الهندى « رامايانا » تلك الملحمة التى كتبت من ٢٣ قرنًا وضمت ٤٨ ألف بيت من الشعر ، وتروى مغامرات الفتى « راما » ، وحياته فى المنفى عشرين عامًا وما أصاب زوجته ، ثم عودته إلى وطنه . . ما

الذى رآه ؟ ما هذه المراكب الفضائية العجيبة التى انتقل بها بين السماء والأرض؟ وهذه الأوصاف الباهرة التى سجلها لرحلاته بين الكواكب الأخرى؟ كيف كان ذلك ؟ وما معناه اليوم ؟

ولابد أن نعيد قراءة الأساطير الإغريقية وكيف كانت الآلهة أو أنصاف الآلهة تسكن جبال الأولمب ؟ وكيف تزاوج الآلهة والبشر ؟ إن الكتب المقدسة تروى شيئًا من ذلك . وكيف كان الرجال عمالقة ؟ وكيف كانت الحيوانات تتحول بسرعة مدهشة من الحيوانية إلى الإنسانية ؟

ولابد أن نقرأ « ألف ليلة وليلة » . وما فيها من خرافات وأعاجيب ليست خرافات وإن كانت أعاجيب . إن عصر الفضاء يعطينا هذا الحق ولا يملأ نفوسنا بالخوف . فهناك الكثير من الأدلة البيولوجية والفلكية على صحة ذلك - كما سنرى . .

وليس أعجب فى كل الكتب القديمة من كتب « أسرار أخنوخ » . وأخنوخ هذا كان نبيًّا . وكان صالحًا طيبًا . ولم يكن أحد يعرف أن له كتبًا أو أسرارًا إلا فى سنة ١٧٧٦ عندما عثر بحار إسكتلندى اسمه بروس على نسخة لأسرار النبى أخنوخ . وجدها فى الحبشة . وبعد ذلك بمائة عام عثروا على نسخة أخرى لأسرار أخنوخ فى يوجوسلافيا . وهذه الكتب جاءت مترجمة عن نصوص عبرية أو يونانية أو حبشية . . ولا أحد يعرف بالضبط أين كان أخنوخ يعيش . هل كان فى « العراق » أو فى أرمينيا أو فى أذربيجان ؟ اختلف العلماء . .

ويقال إن نوحا عليه السلام قد حمل معه « أسرار أسفار أخنوخ » فى سفينته . فقد أوصى أخنوخ ابنه متوشالح أن يحمل هذه الأسرار وأن يتركها لأولاده وأحفاده من بعده ، وكذلك فعل متوشالح ، فحمل حفيده نوح هذه

الأسرار فى سفينته التى بناها قبل الطوفان ، واستقرت به وأهله وحيواناته فوق جبل أرارات فى أرمينيا . .

وأسفار أخنوخ تقع فى ١٠٨ فصول وهى تتحدث عن الجنة والنار وعن يوم القيامة ، وعن الطوفان الذى سوف يغرق العالم كله . وقد نصح ولده أن ينقل هذا الحدث الجليل إلى أحفاده . وعرف ذلك نوح قبل وقوعه .

وفى الفصول من ١٧ إلى ٣٦ من أسفار أخنوخ تحدث عن رحلته إلى العوالم الأخرى . فوصف الكواكب ودوران الشمس والقمر والأرض . . ومن الغريب أنه تحدث عن المدارات غير الدائرية للكواكب . . وعن درجات الحرارة وعن تتابع الألوان عن قرب وعن بعد .

وفى الفصل ١٤ يقول أخنوخ : . . وأدخلونى السماء من حائط من الكريستال محاط بالنار والشرار . . ودخلت هذا الجسم الهائل اللامع الذى ارتفع إلى السماء . .

وفى أسفار أخنوخ وصف غريب وعجيب للسفينة التى نقلته مرة أخرى إلى السماء . .

وعاش أخنوخ سنوات بعدد أيام السنة ، أى ٣٦٥ عامًا .

ولم يمت أخنوخ وإنما صعد إلى السماء ولم يعد . وقبل أن يختفى أخنوخ فى السماء نصح ابنه متوشالح قائلاً : وهكذا أروى لك يا ولدى كل أسرار الدنيا . وقد كشفت لك عن كل شىء . . فاحفظها عنى وأعطها لأولادك من بعدك .

والتوراة تقول : إن أخنوخ سار مع الله . . ولم يوجد لأن الله أخذه . . أى أن الله رفعه إلى السماء . وأخنوخ هذا هو النبى إدريس الذى قال عنه القرآن

الكريم : ﴿ واذكر فى الكتاب إدريس إنه كان صِدِّيقًا نبيًّا * ورفعناه مكانًا عليًّا ﴾ .

وذكره القرآن مرة أخرى فقال : ﴿ وإسماعيل وإدريس وذا الكفل كل من الصابرين ﴾ .

ومن ثلاثين عامًا عثروا عند « قرية قمران » شمال البحر الميت على المخطوطات الشهيرة باسم « مخطوطات البحر الميت » أو « لفائف البحر الميت» .

وفيها تلخيص للتوراة والصلوات والعبادات عند اليهود وعند جماعة منهم تسمى « الأطهار » . ويقال إن المسيح عليه السلام كان يتردد عليهم . ومن بين هذه المخطوطات قصة عجيبة . يقال إن أبا نوح عليه السلام تشاجر مع زوجته . . وسألها : من أين لك هذا الولد ؟

ـ إنه ابنك :

ـ ليس ابنى .

ـ بل هو ابنك . . وليس ابن السماء . . إننى لم آت به من مسافر عابر ولا من عسكرى هارب . إنه ابنك !

والذى حدث أن أبا نوح اكتشف فى يوم طفلاً بين أولاده . لم يره من قبل . وذهب إلى أبيه متوشالح يسأله النصيحة . وحكم له أنه ابنه . . وأن القدر قد أعده لشىء سوف يجىء .

هذا الطفل الغريب بين الأطفال هو نوح ـ ومعناه الراحة ! .

ومعنى هذا الحدث أن ما جاء فى التوراة والكتب القديمة من عبارات مثل : ابن الله . . . أو ابن السماء . . . أو الجبابرة ـ يدل على أنه كانت هناك كائنات

أخرى غريبة عن الإنسان تنزل من السماء وتعيش بين الناس وتعاشرهم وتنجب منهم . . وقد حدث ذلك كثيرا ـ كما سنرى .

إن العالم الروسى الكبير أجرست يرى أن الذى تحدث عنه أخنوخ ليس إلا طبقًا طائرًا نزل إليه وارتفع به !

أما هذا الذى يرويه النبى حزقيال فشىء غريب :

فقد حدث ذلك سنة ٥٩٢ ق . م . . وكان حزقيال فى محنة شديدة . لقد فوجئ بسفينة فضاء تهبط أمامه . باهرة الألوان تسبقها عاصفة ترابية . ولكنها بلا ضوضاء ، وإن كانت أنوارها وعجلاتها وطاقمها قد أفزعه . فانهار على الأرض حتى أوقفوه وأيقظوه . ولكن حزقيال استطاع أن يصف كل شىء بمنتهى الدقة .

وجاء المؤرخون ورأوا فى قصة حزقيال هذه ، نبوءة سوف تحدث أو هذيانًا أو حلمًا مروعًا . فلم يتصور أحد ـ وكيف ؟ ـ أن يكون الذى حدث قد حدث بالفعل .

وفى شعر حزقيال وصف دقيق جدًا لهذا الحدث العلمى ، يقول حزقيال بلغة التوراة الركيكة :

فنظرت وإذا بريح عاصفة جاءت من الشمال . سحابة عظيمة ونار متواصلة . وحولها لمعان . ومن وسطها كمنظر النحاس اللامع من وسط النار . ومن شبه أربعة حيوانات لها شبه إنسان ولكل واحد أربعة أوجه ، ولكل واحد أربعة أجنحة وأرجلها قائمة ، وأقدام أرجلها كقدم رجل العجل . وبارقة كمنظر النحاس المصقول . وأيدى إنسان تحت أجنحتها على جوانبها الأربعة . . وأجنحتها متصلة الواحد بأخيه . ولم تدر عند سيرها كل واحد

يسير إلى جهة . أما شبه وجوهها فوجه إنسان . وجه أسد إلى اليمين لأربعتها، ووجه ثور من الشمال لأربعتها ووجه نسر لأربعتها . أما أجنحتها فمبسوطة من فوق . لكل واحد اثنان متصلان أحدهما بأخيه . . أما شبه الحيوانات فمنظرها كجمر نار متقدة . كمنظر مصابيح . وللنار لمعان من النار كان يخرج بركان فنظرت الحيوانات وإذا بكرة واحدة على الأرض بجانب الحيوانات بأوجهها الأربعة . منظر البكرات وصفها كمنظر الزبرجد . ومنظرها كأنها بكرة وسط بكرة . ولما سارت ، سارت على جوانبها الأربعة . أما أطرها فعالية ومخيفة ، وأطرها ملآنه عيونًا . فلما سارت سمعت صوت أجنحتها كخرير مياه كثيرة كصوت جيش . . إلى آخر ما قاله حزقيال من وصف دقيق .

وقد أهداني د . فوزى البحراوى مدير شركة هوكست الألمانية أحدث كتاب تأليف الكاتب الألماني فون دينكن . عنوانه « دنياى فى صور » . الكتاب يضم ٣٧٥ صورة عجيبة فى هذه الدنيا . ويرى أبريش فون دينكن أن ما رواه حزقيال هو وصف دقيق جدًا لإحدى سفن الفضاء أو إحدى طائرات الهليكوبتر التى يستخدمها الأمريكان فى الصحارى والمستنقعات . ويلفت النظر إلى العيون الكثيرة التى ملأت السفينة وإلى صوتها « النفاث » الذى يشبه خرير المياه ثم إلى البكرة التى فى وسط البكرة « ـ وهو نوع من خداع النظر عندما يدور أحد المحركات بسرعة هائلة .

أما عالم الفضاء بلومريش فى كتابه ، « وانفتحت السماء » ، فقد حول عبارات حزقيال إلى سفينة فضاء أو طائرة هليكوبتر فضائية ، وأن هذه الطائرة لابد أنها قد نزلت من محطة مدارية ، ورسمها وصورها من واقع ما جاء فى سفر حزقيال . وأما الذين نزلوا من الطائرة وتحدثوا إلى حزقيال وأنهوا إليه رسالة خاصة ، فهذه قصة أخرى ـ كما سوف نرى . .

ومن القصص العجيبة أيضًا « ملحمة قلقامش » التى عثروا عليها منقوشة على ١٢ لوحًا من الطين مكتوبة باللغة الأكادية . وهذه الملحمة شديدة الشبه بسفر « التكوين » فى التوراة .

الملحمة تتحدث عن البطل قلقامش الذى بنى حائطًا عند مدينة عروق بالعراق . وقلقامش هذا ثلثاه إله والثلث الباقى إنسان . ولذلك كان رمزًا للقوة والجمال .

وفى الملحمة شخص آخر اسمه أنكيدو جسمه مغطى بالشعر ويأكل العشب كالحيوانات . ولم يكد الملك قلقامش يراه حتى أهداه فتاة جميلة . وهى نصف إله ونصف إنسان ـ أى أنه من الممكن أن يتزاوج أنصاف الآلهة وأبناء الأرض .

وفجأة ـ تقول الملحمة ـ جاءت سحابة من بعيد . صوت وضوضاء . تهز الأرض . وانحطت السحابة فوق أنكيدو هذا وأمسكت به .

واقترب قلقامش وأنكيدو من قلعة أحد الآلهة . وسمع الإنسان صوتًا يقول : من يقترب من هذا المكان يمت . من يرى الآلهة لابد أن يموت ! « وفى سفر الخروج » فى التوراة هذه الآية : « أن ترى وجهى من يرانى لا يعيش ! » .

وفى الملحمة وصف لأول رحلة فى الفضاء : فقد طار لمدة أربع ساعات . وقيل له : انظر إلى الأرض . كيف تراها ؟ انظر إلى البحر ، وكيف يبدو أمامك ؟

يقول : وكانت الأرض جبلا والبحر بحيرة .

وطار لأربع ساعات أخرى ، وقيل له : انظر إلى الأرض ، كيف تبدو

لعينك ؟ انظر إلى البحر ، كيف يبدو لعينك ؟ قال : وكانت الأرض حديقة ، وكان البحر فتاة صغيرة فى هذه الحديقة .

وطار لأربع ساعات أبعد ، وسئل : انظر تحتك إلى الأرض ، وكيف تراها؟ انظر إلى البحر وقل لى كيف تراه من بعد ؟

قال : لقد بدت الأرض مثل العجينة وبدا البحر كالسحاب !

كيف استطاع أن يصف ذلك كله من ألوف السنين ؟

وفى الملحمة أنه ذهب إلى « أبى البشر » فأخبره بالطوفان والسفينة والغريب الذى حمل غصن الزيتون . وحدثه عن الناس الذين ركبوا السفينة والحيوانات أيضًا . وكان « أبو البشر » يحدثه عن ذلك كله وكأنه قد رآه ، أو كأنه قد ركب ظهر السفينة . .

وفى رحلات قلقامش أوصاف لأبواب الجنة . . أو الأصوات التى تخرج من الأبواب ، أو من النوافذ كأنه يتحدث عن ميكروفونات حديثة جدًا . .

فمن أين جاءت هذه الملحمة ؟ هل جاءت من أمريكا الجنوبية ؟ إن قصص بيرو والمكسيك تتحدث عن ملحمة أخرى مشابهة لها تمامًا . . إنها تتحدث عن بوابة الشمس ! وتتحدث عن الجبارين أو العمالقة أو « أبناء السماء » الذين نزلوا إلى الأرض . . تمامًا كما أن جبالاً على حدود ليبيا والجزائر اسمها « جبارين » ، وأن هؤلاء الجبارين لهم نقوش طائرة ولهم خوذات شفافة احتفظت بها كهوف تسيلى فى صحراء ليبيا . .

إن الطريق الممتد من أمريكا الجنوبية مار بمصر الفرعونية إلى الدجلة والفرات ، ولم ينقطع من ألوف السنين ـ ولا هذه السفن الفضائية ولا روادها الجبارون ـ كما سنرى !

كلهم جاءوا إلى الأرض
فى بيضة ذهب

رأى رجل وزوجته وأولاده أثناء سيرهم فى الحقول طبقًا طائرًا . . انتهى الخبر الذى أذاعته وكالات الأنباء من شيلى فى أقصى الجنوب من أمريكا . ولم يعلق أحد بشىء على هذا الخبر ، لأن قضية الأطباق الطائرة قد نوقشت كثيرًا وطويلاً . وانتهى فيها العالم وعامة الناس إلى شىء واحد : أن هذا ممكن ، وأن هذه الأطباق قد جاءت من كواكب أخرى بعيدة . ومعنى ذلك : أن هناك كواكب كثيرة غير الأرض مسكونة بكائنات أعقل ، وأن هذه الكائنات استطاعت أن تصل إلينا بوسائل أكثر تطورًا . . تمامًا كما أرسلنا صواريخ أو سفن فضاء إلى الزهرة والمريخ ، وغدًا وبعد غد إلى مجموعات شمسية أخرى على مسافة ملايين السنين الضوئية .

سؤال : هل هناك كواكب أخرى مسكونة ؟

جواب : العقل لا يمنع ذلك ، لأنه ليس من المعقول أن نكون وحدنا سكان هذا الكون الهائل .

سؤال : وأين هذه الكواكب ؟

جواب : هناك ما لا نهاية له من الكواكب فى هذا الكون . . وإذا كانت هناك ملايين الملايين من النجوم ، فهناك أضعاف هذا العدد من الكواكب

التى تدور حولها ، وليس عجيبًا ولا غريبًا أن تكون بعض هذه الكواكب صالحة للحياة . . أى أن هناك مليون كوكب على الأقل تبعد ألوفًا من السنين الضوئية من مجموعتنا هذه .

سؤال : وهل الحياة عليها حياة إنسانية ؟

جواب : ليس من الضرورى أبدًا أن يكون شكل الحياة مناسبًا للإنسان وحده . إن هناك ما لا نهاية له من أشكال الحياة : فى الماء وفى الطين وفى الهواء . . وهناك أنواع من الحياة لا تحتاج إلى الأوكسيجين . . وليس من الضرورى أن يكون شكل الإنسان هو الشكل الوحيد للكائنات العاقلة .

سؤال : ولكن لماذا تجىء هذه الأطباق الطائرة إلى الأرض ؟

جواب : لا نعرف . ولكن من المؤكد أن سفن فضاء هائلة قد جاءت إلى الأرض ، وتركت آثارها . وقد صورت هذه الآثار على الأحجار وعلى الكهوف ، وبقيت قصصها فى الكتب القديمة الدينية وغير الدينية ، واحتفظ الكهنة ورجال الدين بأسرار هذه الرحلات الغامضة . . وعندما حاول بعض الناس وصف هذه الكائنات التى تهبط من السماء ، جاء الوصف ساذجًا وإن كان دقيقًا . . وقد رأينا ذلك فى الكتب الهندية القديمة والفرعونية وملحمة قلقامش البابلية وفى التوراة وفى سفر أخنوخ . .

سؤال : كل الأدلة على ما حدث من ألوف السنين ليس لها من أثر سوى ما جاء فى الكتب القديمة ، ألا توجد آثار حديثة ؟

جواب : هناك أدلة حديثة جدًا . . وهناك كتب ودراسات بيولوجية وكيميائية لتفسير الذى حدث فى القرن الثامن عشر والتاسع عشر فى أوروبا والقرن العشرين فى روسيا وفى جنوب فرنسا بالقرب من فيينا وفى المتحف

المصرى (- إن منظر الطائرة التى وقف أمامها رواد الفضاء فى أوائل هذا العام لشىء يثير العجب) وفى متحف بغداد وكهوف ليبيا وفى جنوب السودان وفى جزيرة الفصح .

وقد حاول المكتشف النرويجى « تور هايردال » أن يربط بين حضارة بيرو وحضارة الجزر المتناثرة فى المحيط الهادى ، ثم حاول مرة أخرى أن يربط بين حضارة مصر القديمة وحضارة بيرو والمكسيك ، أى بين الحضارة المصرية القديمة وبين كل الحضارات القديمة . .

وقد لاحظنا أن ما سجله الفراعنة فى « كتاب الموتى » ، ليس إلا نعيا لأناس كانوا يعيشون على جزيرة هائلة ، ثم اختفت هذه الجزيرة نهارًا ، أو اختفت محترقة فى نار جعلت الليل نهارًا ، ولم يبق منها إلا جزر متناثرة . ومن هذه الجزر جزيرة واحدة قد هزت العالم كله هى «جزيرة الفصح » .

والآن نستأنف الحديث الذى بدأناه فى الفصل السابق فى هذا المكان .

فقد لاحظ العلماء أن الطريق الذى يمر بأهرامات الجيزة ذهابًا وإيابا لم ينقطع من ألوف السنين . وقد حاول العلماء فى كل الدنيا أن يربطوا بين أهرامات الجيزة ، وبين ما رواه هيرودوت نقلاً عن الكهنة المصريين وبين ما سجلته النقوش فى بيرو وفى جزيرة الفصح .

هذه الجزيرة الصغيرة (٦٠ كيلو مترًا مربعًا) عدد سكانها ألف نسمة . وأهلها بدائيون يعيشون على أسماك البحر وثمرات الأرض وتربية الحيوانات . وكان من الممكن أن تغرق هذه الجزيرة كألوف غيرها دون أن يدرى بذلك أحد . . ولكن فى ١٧٧٢ يوم عيد الفصح اكتشفها أحد البحارة . وفى السنوات الأخيرة فقط ، تحولت الجزيرة إلى متحف سياحى عظيم . . فقد

تناثرت على أرض الجزيرة مئات التماثيل الضخمة ، وهذه التماثيل منحوتة من الصخور البركانية . لا أحد يعرف كيف أمكن نحتها ، ولا كيف أمكن نقلها ، ولا لم وضعت فى أماكنها واتجهت جميعًا إلى الشرق ، ولا لماذا كانوا يصنعون لها قبعات من طين وحجر وردى ؟ لماذا ؟ هل هم يسجلون تماثيل باقية لأناس آخرين هبطوا عليهم ثم عادوا إلى السماء . . ثم من هم هؤلاء (الجبابرة) أو (الجبارون) الذين استطاعوا قطع الصخر ونحته ونقله . . وفجأة نجد فيها محاجر هائلة قطعت فيها مئات التماثيل ، ولم يكملها أحد . . وإنما تركها سكان الجزيرة مذعورين . . تركوها كما هى . . لماذا ؟

والنقوش الموجودة على هذه التماثيل فرعونية . . أو أكثرها حروف فرعونية . كيف ؟ ولماذا ؟ هذا أيضًا لغز لم نعرف له تفسيرًا . . ومن بين الأساطير التى يرويها أهل الجزيرة : أن (الله) ـ إنهم يطلقون عليه اسمًا آخر ـ قد خلق العالم من « بيضة ذهب » . هذه البيضة نزلت من السماء تسبقها نار وتجىء من ورائها نار . . ثم حطت على الجزيرة . وانفتحت جوانب البيضة بعد أن هدأت النيران . ونزل من البيضة أناس طوال عراض بشرتهم بيضاء . . كانوا رجالاً فقط . وليس بينهم نساء . .

(لو عدنا إلى كتاب الموتى الفرعونى لوجدنا أنه يتحدث عن العالم الذى له شكل عريض ، وأن كل شىء فيه يخرج من هذه البيضة . حتى هذا المعنى تعرض له برناردشو فى مسرحيته الشهيرة « العودة إلى متوشالح » وكذلك صموئيل بيكت فى مسرحية « كل شىء يخرج من البيضة » . ولما سئل بيكت إن كان هذا المعنى قديمًا أجاب : إن كل المعانى قديمة ، وكل وسائل إنكارها أو تسخيفها هى الجديدة !!) .

هذه الجزيرة تبعد عن أية منطقة عامرة بالحياة والناس أكثر من ٢٥٠٠

كيلومتر . . لا أرض ولا جو ولا بحر . . إذن كيف يمكن أن نجد تماثيل متشابهة للتي رأيناها في الجزيرة منحوتة بالطريقة نفسها وقد اتجهت رءوسها إلى هذه الجزيرة ؟ ما هو المعنى المقصود ؟ ما الذى تقوله التماثيل ؟ أو ما الذى يقوله أصحاب التماثيل الذين كانوا ثم اختفوا في السماء ؟ . .

وقد لوحظ أيضًا أن من بين كل عشرة تماثيل واحدًا قد كتبت على رأسه علامات وأشكال هندسية . . كأنها خريطة لتوجيه أحد إلى أماكن للهبوط أو البقاء . .

كما عثر العلماء على فتحات في جدران الكهوف تحدث صدى موسيقيًّا ، وبقايا هذه الفتحات ملتهبة ومحترقة . وعندما أدخلت فيها راديوهات صغيرة كان صوتها مكبرًا متناسقًا جميلاً . . كما عثر العلماء على فتحات من هذا النوع في جزيرة مالطة ، وفتحات مثلها على جبال بيرو ! . . فما المعنى ؟

المعنى عند المؤرخ الأسبانى القديم جراتيلاسو ، وكانت كتبه مخطوطات لا يراها إلا الباحثون . ولكن أسرة المؤرخ القديم أعادت طبعها سنة ١٩٤٢ . وأصبحت هذه السجلات العظيمة فى متناول كل الناس . يقول واحد من أحفاده فى مقدمة الجزء التاسع : لم أحاول أن أغير مما قاله المؤرخ الكبير ، وإن كان بعض العلماء قد نصحنى أن أضيف بعض الهوامش لأربط القديم بأحدث الاكتشافات . ولكنى آثرت أن أبقى كل شىء على ما هو عليه .

بل إن هناك عبارات غريبة وغير مفهومة أبقيها كما هى . . مثلاً قوله :

إن هذه القصة التى رواها سكان بيرو القدماء تذكرنا بعبارات هيرودوت ! . شىء غريب أن يتذكر هيرودوت . وشىء غريب ألا يروى لنا ما الذى يقصده بالذات . . فهو قد قال : إن سكان هذه البلاد تحدثوا عن كرات من النار تعلو وتهبط ، دون أن يكون لها صوت أو تحرق زرعًا أو شجرًا أو بيتًا . . وقد كثرت

هذه الكرات فى السماء حتى لم يعد أحد يخاف منها أو ينظر إليها . . وإن كان هؤلاء البدائيون يؤكدون أن ركاب هذه الكرات النارية كانوا يتحدثون إليهم ثم يختفون . . أما ملامح هؤلاء الهابطين فليست واضحة . . وربما كان سبب ذلك أن أحدًا لا يقوى على النظر إليهم . . . إلخ .

أما الذى كتبه المؤرخ الكبير فعلاً عن النقوش والأساطير القديمة وأغانى شعب بيرو ، فهى تقول إنه كان فى قديم الزمان أناس جبابرة ـ وكانوا عمالقة ـ يسكنون هذه المنطقة . وكانوا يعبدون كرة من العقيق الأحمر . . أو كانوا يلتفون حولها . وكانت هذه الكرة تلمع وتشع . وكانوا يتكلمون إليها . . أو كانت الأصوات تنطلق منها . . ويقول إن تلك الأصوات تنطلق منها . .

ويقول إن هؤلاء الجبابرة قد جاءوا من البحر ، أجسامهم ضخمة وعيونهم واسعة . أكتافهم عريضة وأصواتهم قبيحة ، إن أصواتهم تشبه خوار الثور (؟!) ثم إنهم يمشون عراة ، ولا يجدون فى ذلك حرجًا فليس بينهم نساء . ولذلك كانوا يعتدون على نساء بيرو . والمرأة التى تقع لهم تموت . ويقال إنهم كانوا يأكلون الأطفال وكانوا يحفرون الآبار ويستخرجون منها الماء . وكانوا يصيدون الحيوانات ويأكلونها أيضًا .

ويقول المؤرخ الكبير نقلاً عن أساطير أهل بيرو : وفى يوم جاءت كرة من النار . هبطت الكرة . نزل منها واحد أمسك فى يده سيفًا . السيف يشع نارًا وشرارًا . وقضى عليهم .

ومن العجب أنه بعد اكتشاف بيرو هذه ، عثر الأسبان على بقايا جثث أناس عمالقة ، طول الواحد عشرون قدمًا ، وأهدوا هذه العظام لملك أسبانيا ، الذى أهداها للبابا سنة ١٥٦٠ . كما عثروا على كهوف ، وفى هذه الكهوف بقايا عظام . وأشيع بين الناس أن مسحوق هذه العظام يشفى من المرض ومن

العقم . بل إن المكتشف الكبير ماجلان قد نزل برجاله إلى ساحل شيلى . ورأوا على الساحل رجالاً طوالاً عراضًا ، إذا سار الإنسان إلى جوار الواحد منهم لم يبلغ إلا ركبته ! وقد انطلق الجبابرة وراء البحارة وأمسكوا منهم ثلاثة وقتلوهم .

ويقول رجال ماجلان : إن هؤلاء الجبابرة أصواتًا تشبه خوار الثور .

وظلت مؤلفات المؤرخ جراتيلاسو هى الينبوع لخيالات الأدباء عشرات السنين ، كلما حاول واحد أن يصف كيف كانت هذه البلاد قبل الغزو الأسبانى . . إلى أن حدث شىء لم يكن فى الحسبان سنة ١٩٥٨ . ففى تلك السنة كان صحفى فرنسى يركب قطارًا ، وتوقف به القطار على حافة جبل ، ونزل . لم يكن لديه أى سبب واضح وإنما شعر بالملل وضاق بحرارة الهواء وكثرة الذباب . ولم يكن غريبًا عليه أى شىء مما يرى . فهو يعرف تاريخ هذه البلاد جيدًا . ولكن ما يحتاج إليه بعض المناظر والنوادر لكى يكمل كتابًا بدأه من سنوات واستحال عليه أن يكمله . وفجأة ظهر له طفل صغير . وسأل الطفل : أين نحن الآن ؟ فأجابه : أنت فى أقدم مدينة فى هذه البلاد . . إن أحدًا لم يرها إلا منهارة ! وتقدم الصحفى الفرنسى روجيه ديرى ليرى أقدم مدينة . وانفتحت أمامه كنوز من المعرفة غيرت معالم هذه المنطقة وفتحت علينا باب التاريخ القديم كله من هرم الملك خوفو ، إلى برج بابل ، إلى أهرام المكسيك ، إلى جزيرة الفصح ، إلى مغامرات الأمير راما وركوبه سفن الفضاء من ألوف السنين ، إلى أساطير التبت ، إلى سفر حزقيال « وأسرار أسفار النبى أخنوخ » ذلك الكتاب الغامض الذى لا يقرؤه إلا رجال الدين . .

إن الصحفى الفرنسى قد وجد بوابة مكتوبًا عليها « بوابة الشمس » ، أو بوابة أبناء الشمس ، أو الذين يعبدون الشمس . . والشمس هى الله . . والملوك هم ظلال الشمس . . أو حماة الشمس . . وأن هذه البوابة قد وحدت

الديانات القديمة ، فجعلت الناس يدخلون إلى الشمس على طريقة واحدة أو بواسطة رجل واحد هداهم إلى قرص الشمس .

وراء هذه البوابة تناثرت التماثيل والتحف التى ليس لها نظير فى التاريخ . . فلكل واحدة قصة . . وكلها ملحمة أناس نزلوا من فوق . . من الزهرة ـ هكذا تقول الأساطير . وكانت لهم ملكة تحكمهم . وهذه الملكة نزلت وحدها . . ويقال إنهم صنعوا لها بحيرة . ويقال إنهم عندما تركوا هذه المنطقة العالية لأسباب غير واضحة ألقوا فيها وعليها بعض مخلفاتهم . ولذلك سميت البحيرة هناك باسم « مخلفات السماء » .

ومن النقوش الكثيرة على الأحجار هذه القصة : ونزلت من السماء بيضة ذهبية ! . هذه البيضة تسبقها نار وتجىء من بعدها نار وليس لها صوت ولا تحرق أحدًا أو شيئًا . . وانفتحت البيضة وخرج من تحتها ومن جوانبها ومن فوقها أناس كثيرون . . لهم جلود لامعة باهرة . . ويتحركون أيضًا بلا صوت . وإذا تكلموا جاء الصوت من كل مكان .

وتقول النقوش أيضًا : هؤلاء الناس هم أصول هذا العالم . .

وفى ذلك الوقت اهتدى صحفى فرنسى آخر اسمه أندريه لوت إلى كهوف على حدود ليبيا والجزائر اسمها « كهوف تسيلى » وعليها نقوش لأناس طائرين فى ملابس رواد الفضاء .

وقد رأيت نموذجًا للناس الطائرين والحيوانات الطائرة فى المطار الدولى بالجزائر ، ورأيت لوحات مشابهة لها أيضًا فى منطقة « حاسى مسعود » ، حيث آبار البترول الهائلة فى جنوب الجزائر أيضًا .

وكان اكتشاف أندريه لوت هذا إضافة مثيرة جدًّا لاكتشاف مدينة

تيهاوناكا التى اكتشفها الصحفى الفرنسى روجيه دوبريه . . ومن العجيب أن هنالك تشابها تامًا بين النقوش هنا وهناك . . إنهم يسجلون حدثًا قديمًا لا نعرفه . . وهو أن شيئًا نزل من السماء . . ومن هذا الشيء نزل أناس . وهؤلاء الناس أقاموا ثم عادوا إلى السماء . . والسبب غير معروف .

وجاءت نقوش أخرى عثروا عليها فى المكسيك أوضح تفسيرا لذلك . هذه النقوش تصور لنا منظرًا فى داخل إحدى سفن الفضاء .

ولم يترك الذين عادوا إلى السماء آثارهم على الصخور ، وإنما على المعادن النادرة وعلى الخرائط والحيوانات وعلى بعض الناس . . وعلينا بعد ذلك أن نفسر كيف أن عددًا من العلماء الكبار يعتقدون أن سكان الكواكب الأخرى أحياء بين الناس على هذه الأرض . . هل هذه الأرض التى نعتز بها ونرى أنها مركز الكون ليست إلا حظيرة للتجارب تقوم بها كائنات أكثر عقلاً وحكمة لاستخلاص سلالات إنسانية أفضل ؟

ربما . . وسوف نرى !!

وتحولت زوجة لوط
إلى تمثال من الملح !

اذهب إلى المتحف المصرى بالقاهرة ـ ٩٩,٩ ٪ من أهل مصر لم يفعلوا ذلك ـ وسوف تجد تحت رقم ٦٣٤٧ قطعة خشبية وزنها ٣٩ جرامًا ، وهذه القطعة الخشبية ظلت تحت الزجاج خمسين عامًا . والناس ينظرون إليها على أنها عصفور . فقد اكتشفها أحد الأثريين سنة ١٨٩٨ فى مقبرة عند سقارة ، إلى أن جاء أثرى مصرى اسمه د. خليل مسيحة واكتشف أنها ليست طائرًا وإنما طائرة ، وأنها أول محاولة فى التاريخ للطيران ، أو دليل عملى علمى ملموس على أن الإنسان يحلم بالطيران أو يريد أن يصنع طائرة أو يريد أن يقول أتمنى أن أطير .

ولاحظ المشتغلون بالطيران أن نسب هذه الطائرة الخشبية نموذجية . . نسبة الجناحين إلى بقية جسم الطائرة . وقد تشكلت لجنة مكونة من هنرى رياض وعبد القادر سليم وكمال نجيب فى يوم ٢٣ ديسمبر سنة ١٩٧١ لبحث هذا اللغز . . وانتهت إلى أن هذا نموذج لطائرة وليس لطائر . . ثم قدمت هذا النموذج فى المعرض الدولى للطائرات القديمة يوم ١٢ يناير سنة ١٩٧٢ . . ثم هذا كل شىء بعد ذلك إلى أن جاء رواد الفضاء مع د. فاروق الباز ووقفوا فى ذهول أمام هذه الطائرة الخشبية ، ليزداد كل شىء هدوءًا وتعود

الطائرة الخشبية قطعة خشبية جامدة وراء ألواح زجاجية . . وكأن الفراعنة ما فعلوا شيئًا قبل ألوف السنين ، وقبل كل مخلوقات الله الأخرى . . ولم يبق لهذه المعجزة العلمية إلا رقمها القديم وكثير من التراب . . وبذلك نعيد دفنها على وجه الأرض دون دراسة لها من جديد !

ولكن فى الحضارات القديمة الأخرى نجد « تسجيلاً » لحوادث وقعت قبل ذلك . . . هذه الحوادث الهائلة نقشوها على الحجر ، أو فى الكتب الدينية أو فى الملاحم الشعبية . .

وفى نص سنسكريتى قديم يرجع إلى ما قبل الميلاد بخمسة آلاف سنة ، نجد فهرسًا لكتاب هندى يقول :

١ ـ جهاز يتحرك بقوة ذاتية كأنه عصفور يتحرك على الأرض وفى الماء وفى الهواء . هذا الجهاز تخرج منه أنوار باهرة كأنها ألف شمس . . وتخرج منه نيران حارقة كأنها ألف ألف فرن .

٢ ـ وجهاز آخر يتحرك فى السماء طولاً وعرضًا . . ويقف مرة واحدة . . ثم ينزل عموديًا على الأرض . .

٣ ـ يتحرك من بلد إلى بلد ومن عالم إلى عالم .

٤ ـ الكهنة قد أطلقوا على هذا الجهاز اسم فيجانا ، لأن به شلالات من النار والنور والضوضاء . . وأصواته مثل خرير ألف ألف نهر أثناء الفيضان .

٥ ـ . . . وفيما يلى طريقة صنع هذا الجهاز . .

٦ ـ وفيما يلى عدد من المعادن التى صنع منها هذا الجهاز . . عدد هذه المعادن ١٦ معدنًا كريمًا « نحن فى العصر الحديث لا نعرف إلا ثلاثة معادن فقط ! » .

٧ ـ الجهاز لا يتحرك ولا يحرق ولا يحترق . .

٨ ـ . . وهذه طريقة فعالة لكى نجعل هذا الجهاز يختفى عن العين تمامًا . .

٩ ـ كيف يمكن التقاط صور لعدو دون أن يدرى وبالاعتماد على ضوء النجوم . .

١٠ ـ كيف يمكن تخدير العدو تخديرًا تامًا فيصبح عاجزًا عن الحركة ليقع فى أيدينا كل شىء . . . الخ . .

إن هذا النص يتحدث عن نوع متطور جدًا من سفن الفضاء . . وعن حركتها وعن صورتها وهبوطها وإمكان إخفائها ، وكيف يمكن تصوير السفن المعادية من داخلها أثناء الليل ، وكيف يمكن استخدام الأسلحة الكيمياوية . وهذا النص عمره خمسة آلاف سنة ، ويسجل أحداثًا وقعت قبل ذلك بعشرة آلاف سنة . كيف ؟

وفى سنة ١٩٦٨ ذهب الكاتب الألمانى إيريش فون دينكن إلى الهند والتقى بعدد من العلماء يسألهم عن صحة هذا النص ، وهل حدث شىء من ذلك ؟ وأين ومتى وكيف ولماذا ؟ أما أن النص صحيح فلا خلاف بين العلماء على ذلك . أما كيف حدث ما حدث ؟ وأين ذهب أصحاب سفن الفضاء ؟ فهذا ما لا يعرفه أحد حتى الآن . .

وفى الملحمة الهندية الشهيرة « مهابهاراتا » بأبياتها الـ ١٦٠ ألفا ، تقرأ تسجيلاً لأحداث وقعت قبل ذلك بخمسة آلاف سنة ، ووصفًا دقيقًا لسفن فضائية وما يمكن أن نسميه اليوم « محطات مدارية » ، أى محطات اتخذت مدارًا حول الأرض وعلى قمم الجبال . . فى التبت وبيرو وفى الهند ما يشبه ممرات الطائرات . . فعلى هذه القمم طرق مرصوفة وعلامات بيضاء وآثار

لعجلات غائرة فى الصخر . . وعلى هذه القمم ـ كما فى بعلبك فى لبنان ـ أحجار هائلة . . يزن الواحد منها مئات الأطنان ويستحيل نقله من السفح إلى القمة على مدى ألوف الأمتار . . وفى بعلبك حار العلماء فى تفسير الـ ٥٤ عمودًا ـ قطر الواحد ثمانية أقدام وارتفاعه تسعون قدمًا . . والسقف الحجرى الذى يزن ١٥٠٠ طن ، ثم إن هناك شيئًا عجيبًا . . هناك قطعة حجر واحدة لم يكمل نزعها من الأرض وتحتاج إلى أربعين ألف رجل لكى يحركوها من موقعها ولا أحد يعرف لماذا نحتوها . ولماذا توقفوا عن إتمام ذلك . . إن هذا النوع من الحجر ليس له نظير إلا فى أسوان وحدها . كيف نقلوها ؟ ولماذا ومتى ؟

أما التفسير الوحيد لهذه الأعمدة الحجرية ، فقد أعلنه العلماء الروس عندما نشروا فى سنة ١٩٦٣ بحثًا دقيقًا يؤكد أن بعلبك كانت قاعدة لإطلاق سفن الفضاء . . وبعد ذلك استخدمت هذه القاعدة لأغراض أخرى غير علمية .

وعلى مسافة قريبة من بعلبك وفى أرض فلسطين ، حدث شىء رهيب . . فقد تحدثت التوراة والقرآن الكريم عن السماء وكيف حرقت عددًا من القرى ، التى يسميها القرآن « المؤتفكات » ، والتوراة تسمى هذه القرى : سودوم وعمورة . فقد حدث انفجار هائل فتحول كل شىء إلى رماد . وهرب لوط وأسرته إلى الكهوف خوفًا من الإشعاعات الذرية . .

ففى التوراة تقرأ فى الإصحاح التاسع عشر من سفر « التكوين » : أن اثنين من الملائكة يطلبان إلى لوط : اهرب بحياتك ، لا تنظر وراءك ، ولا تقف . . اهرب إلى الجبل حتى لا تهلك . . وأمطر الرب على سودوم وعمورة كبريتًا ونارًا . ونظرت امرأة لوط وراءها فصارت عمودًا من الملح !

ويقال إن البحر الميت قد ظهر على شكل تجويف فى ذلك الوقت ، نتيجة لهذا الانفجار الذرى الرهيب ولذلك سمى « البحر الميت » باسم بحر لوط . .

ولكن العلماء الروس يؤكدون أن تجويف البحر الميت ليس إلا بسبب ارتطام إحدى سفن الفضاء الهائلة بالأرض . . ولابد أن تكون هذه السفينة ضخمة جدًا . . ولابد أنها قطعت ألوف السنين الضوئية حتى وصلت إلى كوكب الأرض . . ولابد أن خللاً ما قد أصابها . . ولابد أن يكون مثل هذا الحادث قد وقع لسفن أخرى كثيرة وعلى كواكب أخرى أيضًا .

والقرآن الكريم يقول عن الملائكة الذين جاءوا إلى لوط وحذروه مما سوف يقع لهذه القرى المنحلة : ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك فأسر بأهلك بقطع من الليل ولا يلتفت منكم أحد إلا امرأتك إنه مصيبها ما أصابهم إن موعدهم الصبح أليس الصبح بقريب * فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود ﴾ .

وفى القرآن الكريم : ﴿ فأخذتهم الصيحة مشرقين * فجعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليهم حجارة من سجيل * إن فى ذلك لآيات للمتوسمين ﴾ .

وفى القرآن الكريم : ﴿ ألم يأتهم نبأ الذين من قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم إبراهيم وأصحاب مدين والمؤتفكات أتتهم رسلهم بالبينات فما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم ﴾ .

ولما هلكت سودوم وعمورة لم يبق إلا لوط وابنتاه . ورأت صغرى ابنتى لوط أن البشرية سوف تنقرض فأعطت أباها خمرًا ونامت معه ، وحرضت أختها

الكبرى على ذلك ، وأنجبت الابنتان من أبيهما . . . إلى آخر ما جاء في التوراة . أما تفسير ما جرى للوط وابنته وزوجته فمعروف . . فقد زاره أناس شواذ جنسيًّا ، ولكن لوطا قدم إليهم بنته فرفضوا . . ويبدو أن زوجة لوط حاولت أن تفضح زوجها ، فذهبت تتسول بعض الملح من جيرانها . . ولذلك عوقبت بأن تحولت بعد ذلك إلى تمثال من الملح !

ولكن التفسير العلمي لذلك ، هو أن الانفجار كان هائلاً ، وأن الكهوف هي المخبأ الوحيد من الإشعاعات الذرية . . وأما أن الإشعاعات حولتها إلى كتلة بيضاء عندما تعرضت لها ، فقد عرف العالم ألوف النماذج مما حدث في هيروشيما ونجازاكي وما حدث في جزر بيكني . ففي جزر بيكني ، عندما أطلق الأمريكان قنبلتهم الصغيرة ووضعوا في منطقة الإشعاع عينات من الحيوانات والطيور والزواحف ، ماتت جميعًا وصارت تماثيل بيضاء إلا حيوانًا واحدًا هو الخنزير . فالخنزير هو الحيوان الوحيد الذي لا تؤثر فيه الإشعاعات الذرية .

ومنذ ذلك اليوم ونحن نعرف أنه إذا قامت حرب ذرية فلن يرث الأرض وما عليها إلا الخنازير - منتهى السخرية من الإنسان !

فهل الذي وقع في مثل هذا اليوم من ٦٩ عامًا في سيبريا ، تكرار لما حدث لسودوم وعمورة ؟! ففي هذا اليوم من يونيو سنة ١٩٠٨ أضيئت الصحاري الجليدية مرة واحدة ، وارتفعت درجة الحرارة بالمئات ، واحترقت الأشجار والبيوت ، وهلكت الحيوانات ، وظلت السحب مضيئة لروسيا كلها وأوربا الغربية ثلاثة أيام . . حتى في باريس كانوا يقرءون الصحف في منتصف الليل ، وسجلت المراصد في طشقند بأزبكستان وبينا في ألمانيا ، أن شيئًا عجيبًا قد هز الأرض وحرك الريح ، فأطاح بأسقف البيوت والأشجار وأحرق النوافذ والأبواب في مساحة قدرها مئات الألوف من الأميال المربعة !

وعاد العلماء الروس يدرسون هذا الحادث مرات أخرى . فقاموا بتحليل الأشجار التى تنبت بسرعة بعد ذلك ، والتربة التى زادت خصوبتها .

وفى سنة ١٩٥٩ قررت بحثة سوفيتية على أعلى المستويات أن الذى حدث شىء غير ذلك . فليس صحيحًا أن أحد الأجسام السماوية قد سقط على الأرض . . فليس هناك أى أثر على الأرض . وإنما الذى حدث هو انفجار على ارتفاع خمسة كيلومترات من سطح الأرض . وليس هناك إلا تفسير واحد ، هو أن سفينة فضاء ضخمة جدًا دخلت الغلاف الغازى للأرض فارتفعت درجة حرارتها واحترقت تمامًا . ولابد أن سبب الاحتراق هو خلل ما . .

وظل العلماء يبحثون عن آثار السفينة ، ولكن لم يعثروا على شىء . وكان العلماء يحلمون بأن يجدوا بعض الكريستال النادر كالذى عثروا عليه فى صحراء ليبيا وفى صحراء جوبى . فقد وجدوا نوعًا من الزجاج لا يمكن أن يكون بفعل البراكين ، وإنما هو زجاج فى غاية القوة وعلى درجة عالية من النقاء . ولكن العلماء لم يعثروا على هذا الزجاج .

مثلاً وجدوا نوعًا من الزجاج الملون فى سنة ١٨٨٩ فى المكسيك فى شبه جزيرة ياكوثان . . حيث عاشت حضارة المايا القديمة . . تلك الحضارة التى أهدت للعالم الطماطم والكاكاو والفانيلا والتبغ والذرة ، والتى رصدت حركات الشمس والقمر والكواكب الأخرى ، والتى أشارت إلى أن هناك حضارة أعظم هى حضارة مصر الفرعونية . . فقد عثر أحد العلماء الأسبان على نقش عجيب على أحد المعابد . هذا النقش عبارة عن صورة من الجو لمنطقة أهرامات الجيزة . وبتحليل هذا النقش أثبت العلماء أنه يرجع إلى ٢٥ قرنًا . كيف ؟

وفى العالم كله وفى كتبه القديمة ألوف الأدلة على أن شيئًا جليلاً قد حدث

فشمل الأرض كلها ، وعلى أنه قد عاش على هذه الأرض أكثر من حضارة ظهرت وازدهرت وتلاشت ، ثم عادت الحياة من جديد .

وما ترويه الكتب المقدسة والكتب القديمة من أن الحياة بدأت بآدم . . ثم حدث طوفان فهلك الناس فبدأت الحياة بنوح . . ثم هلكت الدنيا فاستأنفت الحياة سيرها بلوط . . كل هذا يدل بصورة رمزية على ما حدث . .

ثم إن ظهور النقوش والتماثيل وهبوط كائنات من السماء : الملائكة أو الجن أو العفاريت أو الشياطين أو العمالقة أو الجبارين ، كل ذلك يدل على أن كائنات من كواكب أخرى جاءت وعادت . فهل صحيح أنها عادت كلها ؟! هذه قضية أخرى كما سنرى . . ولو أردنا أن نحصى عدد الألغاز التى تحير العلماء اليوم لضاقت الصفحات . . ولكن يمكن أن نشير إلى بعضها ونتركها بسرعة بحثًا عن شىء أهم . .

مثلا : عثر الأثريون على حجر منقوش عليه صورة سيدة وقد ارتدت الفستان والسوتيان والبرنيطة بالقرب من فينا ـ عمر هذا الحجر عشرون ألف سنة !

مثلاً : فى أيام الملك لويس الخامس عشر تقول لنا الكتب إن رجلاً أعلن أمام الملك أنه يستطيع أن ينسف مدينة بأسرها ، وطلب من الملك أن يعرض عليه نموذجًا لهذه (القنبلة الذرية) . . وقال له إنه جرب ذلك على أحد البيوت فتحول إلى رماد دون أن يدرى بذلك أحد . هذا الرجل قد اغتاله الملك ومات وسره معه منذ مائتى سنة !

مثلاً فى القرن السادس عشر ترك قبطان تركى اسمه الريس بيرى خريطة يقول إنه نقلها عن خرائط برتغالية ومنقولة عن خريطة لخرستوف كولمبوس . هذه الخريطة موجودة فى متحف توبكابو بإسطنبول .

الخريطة تصور البحر الأحمر وغرب أفريقيا . . ولكن أعجب من هذا كله أنها تصور القطب الجنوبي .

ويؤكد علماء الآثار وعلماء الفضاء أن هذه الخريطة دقيقة جدًّا لدرجة أنه يستحيل أن تكون قد رسمت باليد . . وإنما التقطت من الفضاء . كيف ؟

مثلاً كان الملك سليمان يضع على المعبد ٢٤ مانعة للصواعق ـ أى تلك الأسلاك المعدنية التى فى أعلى العمارات والطائرات لتمتص الصواعق الكهربية . . فكيف عرف ذلك المهندسون من ٢٩ قرنًا ؟ مع أن العالم الأمريكى بنيامين فرانكلين قد اكتشف هذه الصواعق من مائة عام فقط !

مثلاً : فى مدينة مدراس بالهند وجدوا عمودًا من الصلب . . وبدراسة العمود اهتدى العلماء إلى أنه يستحيل صنع هذا الجسم المعدنى إلا فى درجة حرارة قدرها ٥٠٠ درجة مئوية . . عمر هذا الجسم المعدنى يرجع إلى عشرين ألف سنة !

وهنالك ما هو أعجب من ذلك وأغرب ويستحق التفكير ـ كما سنرى !

لا أول ناس على الأرض
ولا وحدنا فى الكون

أحدث كتاب صدر عن الذين كانوا هنا ثم عادوا إلى مكان ما من السماء ، هو الذى بعث به د. فاروق الباز عالم الفضاء المصرى . . الكتاب تحفة أدبية وعلمية معًا . عنوانه « لا نحن وحدنا ولا نحن أول الناس » من تأليف د. ألفريد دريك . . وهذا الكتاب على شكل حوار بين عدد من علماء الذرة والفضاء والجيولوجيا والإنسانيات والآثار والأدب . أما الموضوع فهو : بالضبط ما الذى حدث على هذه الأرض من عشرات الألوف من السنين ؟ وهل هذا الذى حدث سوف يحدث مرة أخرى ؟ وكم عدد المرات التى اجتاحت الكوارث هذه الأرض وأطاحت بكل شىء ؟ وسؤال هام جدًا : ما فائدة هذه الدراسة الآن ؟ ثم إذا كنا نعرف أن عدد سكان الأرض من عشرين قرنًا ، كان ٢٥٠ مليونا وكان عددها من ستة آلاف سنة مليونا واحدا ، أليس من الواجب علينا أن نسأل كيف أصبح عدد سكان الأرض مليونًا ؟ وهل كان عدد سكان الأرض فى يوم ما اثنين مثلاً ؟ ومن أين جاء الاثنان ؟ وهل سيعود سكان الأرض مرة أخرى اثنين فقط ؟

فى هذا الكتاب كمية هائلة من المعلومات التاريخية والفلكية ، لا يمكن عرضها ولا إيجازها . ثم إن أكثر المتحدثين من العلماء المتخصصين ، قد

استطاع المؤلف أن يوفر لهم مائدة ضخمة من القصص والنقوش والمخطوطات جمعها فى أربعين عاما . فجاء كتابه هذا وليمة يصعب على معدة واحدة أن تتحملها . . ولكن الذى ساعد على احتمالها ، أنه اتخذ شكل الحوار ، وأن لديه مقدرة هائلة على التبسيط وأحيانًا على الاضحاك أيضًا !

الجلسة الأولى :

سؤال : نحن عثرنا على أشياء عجيبة فى أماكن متفرقة من العالم . . والذى يدعو إلى العجب أنها متشابهة . .

مثلا كيف نفسر العثور على إبرة ذهبية فى شمال إنجلترا ، وأن نجد إبرة ذهبية مماثلة لها تمامًا فى أواسط أفريقيا ؟ هذه الإبرة الذهبية لا يمكن أن تتخذ هذا الشكل الفنى إلا إذا وضعت فى درجة حرارة تصل إلى ألف درجة مئوية . . ثم ما هو الغرض من صنع هذه الإبرة ؟

جواب : إن هذه الإبرة الذهبية ، وكذلك أعمدة الصلب وشبكات البلاتين التى وجدوها فى بيرو والمكسيك ، تحتاج إلى أفران مئوية . . تصل درجاتها إلى الألوف . . وأقرب الاحتمالات أن تكون هذه الأجسام المعدنية بقايا أجهزة دقيقة قديمة تحطمت أو اختفت فى باطن الأرض أو البحر . . أو حولها الاصطدام بالأرض أو بالغلاف الغازى للأرض إلى ذرات . .

سؤال : هناك قطع من الزجاج الكريستال الملون عثر عليها الأثريون فى أماكن مختلفة من العالم . . فى روسيا وفى صحراء جوبى . . وفى جبال التبت . هذا الكريستال ليس طبيعيًا . إنه صناعى . . ولابد أنه كان جزءًا من أجسام أو مركبات فضائية . . وأقول لابد أننا عندما عرضناه لدرجات حرارية عالية جدًا لم يتأثر . . ولا يمكن أن يكون هذا الكريستال عاديًا . . بل إننا لاحظنا

أن هذا الكريستال سميك جدًا . . ولابد أنه كان أضعاف ذلك . . وبعض العلماء يرى أن هذا الكريستال قد صنعت منه غواصات قديمة . . وصنعت منه البيوت . . وقد قرأنا أن عالمًا فرنسيًا يقول إن هذا الكريستال قد صنعت منه غواصات قديمة ، وأنه عندما هبط إلى قاع المحيط وجد نوعًا من الكريستال متناثرًا . . وأنه لا يستبعد أن يكون هذا الكريستال هو ما تبقى من بيوت تحت الماء أو من سفن أو غواصات . . ثم إن هذا الكريستال يرجع إلى ثلاثين ألف سنة . .

جواب : ربما كان هذا معقولاً . . ولكن لغزًا آخر قد استقر أمام العلماء . فقد عثروا فى صحراء شيلى . . على زجاج ساعة يد . . وهذا الزجاج سمكه نصف مليمتر . . وفى غاية الشفافية . . وأعجب من ذلك أنه غير قابل للكسر . وأن هذا الزجاج يرجع إلى عشرين ألف سنة . . وأن انتشار هذه الأنواع المتطورة من الزجاج الرقيق والزجاج السميك جدًا فى أماكن متفرقة من العالم وعلى مدى عشرات الألوف من السنين يؤكد حقيقة واحدة هى : أن هناك حضارة أو أكثر من حضارة متطورة ازدهرت وتلاشت لأسباب غير مفهومة لدينا الآن . . وأهم من ذلك كله أن هذه الحضارة كانت تملأ القارات كلها وأن وسائل الاتصال بين القارات كانت أيسر مما هى الآن !

الجلسة الثانية :

سؤال : لابد أن نتساءل عن معنى كل هذه النقوش على الأحجار وعلى الكهوف . . من الذى سجل الأحداث ؟ هل هم زوار الأرض أنفسهم أى هل هم الذين جاءوا من كواكب أخرى ؟ أو هل هم سكان هذه الأرض قد سجلوا ما حدث ؟ إن أمامنا لغزًا معقدًا هو : كيف استطاع سكان هذه الأرض الذين

عاشوا من ستة آلاف سنة أن يرسموا حيوانات انقرضت من ملايين السنين ؟ كيف عرفوا ذلك ؟ من الذى أطلعهم عليها ؟ ثم لماذا ؟

سؤال آخر : إن أمامنا لغزًا آخر فقد عثر العلماء فى سنة ١٩٣٣ بالقرب من مدينة بكين ، على جماجم ثلاثة أشخاص : جمجمة رجل أوربى أبيض . . وجمجمة سيدة « هندية » وجمجمة شاب من الإسكيمو . . وعمر هذه الجماجم يرجع إلى عشرين ألف سنة . . ما الذى جمع بين هؤلاء فى هذا المكان ؟ ولماذا ؟ كيف جاءوا ؟ كيف انتقلوا ؟ ماذا جرى لهم ولمئات من الألوف غيرهم ؟

كما أن العلماء قد اكتشفوا عند مدينة أريحا فى فلسطين جمجمة لرجل فرعونى . . الجمجمة محنطة . . والرجل كان طويلاً على غير العادة . . ولكن طريقة تحنيط الرأس هى التى دلتنا على أنه فرعونى . . ثم إن النقوش الهيروغليفية وجدوها على عصاه . . والعصا من العاج الأبيض . . والشىء الغريب أن هذا الفرعونى أو هذا المصرى القديم عاش قبل ستة آلاف سنة . . فما الذى أتى به هنا ؟ ثم إنه الوحيد الذى عثروا عليه من مئات الجماجم غير الفرعونية . . وأعجب من هذا كله . . أنهم وجدوا فى جمجمة هذا الفرعونى مسمارًا من البلاتين . . كيف أمكن استخراج البلاتين ؟ إن استخراجه وتنقيته يحتاج إلى ألوف من درجات الحرارة المئوية .

الجلسة الثالثة :

سؤال : اهتم العلماء بالنقوش التى وجدوها فى كهوف تسيلى الليبية ، وفى كهوف أخرى بالقرب من فينا . . وبكهوف فى تنزانيا . . وبكهوف باهرة الألوان فى أيسلاند الجليدية . . واستنتج العلماء من هذه النقوش أنها لعدد من رواد الفضاء قد وضعوا كمامات . . هذه الكمامات للوقاية من الغازات

السامة . . وللوقاية من جو الأرض أو لاحتياجهم للأوكسيجين إذا هبطوا على الكواكب الأخرى . . ولكن الذى اهتدى إليه علماء الكيمياء أخيرًا جدًا ، أن المواد المستخدمة فى هذه الألوان ذات خصائص إشعاعية قوية . . وأنه بتحليل هذه المواد وجدوا أن عمرها يرجع إلى عشرين أو ثلاثين ألف سنة . . ويستنتج علماء الكيمياء أن السبب فى اختيار هذه الألوان أن تكون قاتلة لكل من يدخل هذه الكهوف . . وهذا يضعنا أمام عدة تساؤلات : كيف صنعوا هذه المواد القاتلة وفى الوقت نفسه اهتدوا إلى وسائل لوقايتهم منها ؟ ثم لماذا جعلوها قاتلة ؟ وسؤال هام جدًا : ألا يمكن تفسير « لعنة الفراعنة » ، بأن الفراعنة قد استخدموا مثل هذه المواد ذات النشاط الإشعاعى فى قبور ملوكهم أو على توابيتهم . . فإذا تعرض لها أحد اللصوص أو أحد الأثريين ، أصابه الموت بشكل ما ؟

إن كاتبًا ألمانيًا شابًا اسمه فاندنبرج قد ألف كتابًا عنوانه « لعنة الفراعنة » ، اهتدى إلى هذا التفسير . . بل إنه ذهب إلى أنه لا يستبعد أن يكون الفراعنة قد وضعوا مواد إذا تعرضت لحرارة الجو ذابت وانطلقت منها أبخرة سامة . .

الجلسة الرابعة :

سؤال : لقد حاول عالم النفس الكبير يونج أن يؤكد لنا أن سفن الفضاء والأطباق الطائرة التى ظهرت بكثرة سنة ١٩٤٧ وما بعدها وبلغت فى سنة ١٩٥٢ أكثر من ألف طبق طائر ، أن كل ذلك وهم أو هلوسة . . ولكن من المؤكد علميًا الآن أن هذه ظواهر علمية حقيقية . . ولكن ليس فى استطاعتنا أن نسقط طبقًا طائرًا ينطلق بهذه السرعة العجيبة التى تقرب من مئات الألوف من الأميال فى الساعة . . ولكن أجهزة الرصد الرادارية قد سجلت حركتها وانطلاقها . . ولكن أحدًا لا يعرف مصدرها ولا الهدف من اقترابها من

الأرض ، وكل ما نستطيعه هو أن نردد ما قاله العالم الكبير نيلس بور : من أن هذه السفن الفضائية لابد أنها قد جاءت قبل ذلك مئات المرات ، ولابد أن لدى أصحابها أسبابًا وجيهة جدًا للاقتراب من الأرض أو النزول عليها أو رصدها عن بعد . .

ويقول بور : ولا أستبعد مطلقًا أن يكون سكان الكواكب الأخرى قد وضعونا في تجربة أو أنهم يجربون فينا بعض الأمراض . . أو يلقون على الأرض بعض البذور . . أو أننا لسنا إلا مزرعة لتحسين بعض السلالات الحيوانية . . لا أحد يدرى الآن !

سؤال : بمناسبة الكلام عن البذور . . فقد لوحظ في فرنسا وفي السويد وفي المكسيك وجود بعض أشجار نادرة جدًا . . هذه الأشجار متشابهة . . ولكن ليس لهذه الأشجار نظير في أى مكان آخر على الأرض . . فلماذا لا تكون هذه الأشجار قد جلبت بذورها من كواكب أخرى . . ولسبب ما انقرضت الأشجار أو لم تفلح في أن تتكيف مع الجو في هذه الأرض .

سؤال : لم يحدث في كل تاريخنا أن انقطعت قصة الأجسام الطائرة . . أو كرات النار في السماء . . هيرودوت رأى ذلك في مصر الفرعونية . . الفيلسوف أفلاطون رأى ذلك في مصر . . وفي الكتب القديمة . . في التوراة . . وفي مخطوطات البحر الميت ، وفي سفر النبي أخنوخ . . وفي ملحمة قلقامش القديمة . . وفي الكتب الهندية وأساطير التبت . . وكلها تؤكد معنى واحدًا . . أنه حدث أن نزلت سفن وأن بعض الناس قد ركبوها وداروا حول الأرض أو نزلوا كواكب أخرى ثم عادوا إلى الأرض يصفون ما رأوا . . بل إن هناك حوادث معروفة في التاريخ تؤكد اختفاء بعض الناس . . أو خطف بعض الناس في سفن فضاء . . واختفاء كتائب من الجيوش بكل أسلحتها . .

ففى سجلات الحرب العالمية الأولى شيء من ذلك . . ثم إن جماعة « الصليب الوردى » ، وفى أعضائها عدد من العلماء الكبار الحائزين على جوائز نوبل ، يؤمنون إيمانًا قاطعًا بأن هذا حدث لبعض أفرادهم ، وأن هؤلاء الأفراد عادوا واتفقوا على الصمت . . ثم إن التوراة تحدثنا عن أناس من الكواكب الأخرى عاشوا بين الناس . . بل إنها تؤكد أن نوحًا عليه السلام نفسه هبط من الكواكب الأخرى . . وفى العام الماضى عقدت جماعة « الصليب الوردى » مؤتمرها السنوى . وأعلن رئيسها وهو حائز على جائزة نوبل فى الفيزياء أنهم : احتفلوا هذا العام بقدوم شخص معروف على أرفع مستوى علمى . . وأنه ليس من هذا الكوكب ، وأن وجوده بينهم شرف لم يبلغه أحد من قبل . . وأن الذى أطلعهم عليه من أسرار الذرة وتركيب المادة وخوفه على ضياع هذه الأرض قد أذهل الجميع . . وهم لذلك يكنون له ولزيارته ولرسالته عظيم الاحترام . !! فما معنى ذلك ؟

الجلسة الخامسة :

سؤال : إن الكتب القديمة كلها تؤكد لنا أن هناك تزاوجًا بين الإنسان والحيوانات ، أو بين الإنسان وكائنات أخرى ضخمة . . وأن من نتائج هذا التزاوج ظهور كائنات غريبة أو عبقريات نادرة . . ولابد أن نجد تفسيرًا حديثًا لكل الأساطير الفرعونية واليونانية والبابلية وأساطير المايا . . فكلها تجمع بين الإنسان والحيوان . . أو كلها تقدس الحيوانات . . أو نوعًا من الحيوانات . . ثم إن فى هذه الأساطير القديمة حيوانات تطير . . وهذه الحيوانات وصفتها الأساطير بأنها أكثر عقلاً من الإنسان . . فهل كانت حيوانات حقًا ؟ أو هل كانت كائنات من نوع آخر لها قدرة على التشكل ؟ إن الذى يجعل الإنسان يرفض أن تكون الحيوانات أفضل أو أعقل منه ، أنه

يتصور دائمًا أنه أعقل الحيوانات وأفضلها وأقواها . . وهذا رأى يحتاج إلى مناقشة . . فليس صحيحًا أن الإنسان أقواها أو أقدرها . . ثم إن النقوش القديمة تصور لنا زوار الكواكب الأخرى وليس لها ملامح هذا الإنسان . . ثم إنه ليس من الضرورى أن يكون الإنسان هو الشكل الوحيد للعقلاء فى هذا الكون . . فكما أن هناك درجات لا نهاية لها من العقل والذكاء ، فهناك أشكال وألوان لا نهاية لها للحيوان أو لأى حيوان آخر أكثر عقلاً . . ما الذى يمنع أن يكون الإنسان على شكل نبات ، أو على شكل حشرة ، أو على شكل كرة أو أنبوبة أو جناح ؟

يقول المؤلف د. ألفريد دريك : إن الإنسان فى العصر الحديث ، ليس قادرًا على مناقشة كل هذه القضايا مرة واحدة . . لأن اتساع العلم قد جعل كل واحد منا يختار جانبًا ضيقًا ويحاول أن يتعلمه ، فالعلم الإنسانى من الاتساع والعمق بحيث يصعب على شخص واحد أن ينطلق فى كل الاتجاهات وكل الأعماق ليجد حلاً . .

ولكن هذه دعوة عامة للعقل والتذوق والخيال أن تتفتح . فنحن جميعًا مطالبون بأن نعرف من الذى دق أبوابنا من ألوف السنين . . ويدقها اليوم . . ولعله لا يدقها مطلقًا لأنه بيننا ـ إن هذا الرأى يبدو غريبًا أو خرافيًا ، ولكن هناك هيئات دينية وعلمية تؤمن بذلك تمامًا . . بل إن عددًا كبيرًا من علماء الأرواح يقررون ذلك فى جلساتهم . . بل إن هناك عددًا من العلماء لا يمكن حصرهم يبنون نظرياتهم العلمية على صحة هذا الرأى . .

ويقول المؤلف أيضًا : من المناسب الآن ـ أى فى نهاية هذه الجلسات ـ أن أتذكر واقعة حدثت فى مدينة ليننجراد . فقد أقيمت حفلة عشاء لعدد من العلماء . ولم يكن إلا « عشاء عمل » . فقد جلس العلماء الروس يناقشون

قضية هامة ، وهي أنهم عثروا على حيوان « الماموت » الذى عاش فى سيبيريا ، أى فى أكبر ثلاجة على سطح الأرض . وبعد العشاء نهض أحد العلماء يقول : أيها السادة هنيئًا مريئًا . لقد تناولتم لحم أقدم حيوان عثر عليه الإنسان ! ولابد أن لحم هذا الحيوان الذى أكلوه دون أن يلاحظوا ذلك ، قد قفز من معدة كل منهم إلى فمه !

وكل الذى قدمته هنا وفى الحلقات السابقة ليس فقط لحمًا من حيوان قديم . . أو معلومات من سجلات عتيقة . . وإنما هى ألغاز وتساؤلات تحتاج إلى من يفسرها ، وفى تفسيرها ما يساعدنا على فهم ما كان أو ما سيكون أو ما هو كائن على الأرض وبين الناس . . . وعلاقتنا بالكواكب الأخرى . . وهل هناك علاقة ما بين الكوارث التى لحقت سكان الأرض ؟! ليس بعيدًا أن تكون هناك علاقة ما . .

فهل هى علاقة حيوانية أيضًا ـ سوف نرى ما معنى خرافات الإغريق وحيوانات « ألف ليلة وليلة » !

السندباد البحرى
وقارة « مو » الغارقة

تذكر السندباد البحرى هذه الأبيات قبل أن يبدأ رحلته الأولى :

بقدر الكد تكتسب المعالي ... من طلب العلا سهر الليالي
يغوص البحر من طلب اللآلي ... ويحظـى بالسـيادة والنـوال
ومن طلب العلا فى غير كد ... أضاع العمر فى طلب المحال

وكانت رحلته الشاقة الرهيبة . . فقد جنحت به السفينة إلى إحدى الجزر . ونزل الناس جميعًا وأوقدوا نيرانهم ، وجلسوا يأكلون عندما تحركت الجزيرة . وهنا صرخ واحد يقول لهم : ليست هذه جزيرة ، إنها حوت قد تجمع حوله التراب فكان طينًا ، ومن الطين خرجت الأشجار التى يجلسون تحتها . . أنقذوا أنفسكم . . ونجوا جميعًا . أما السندباد فكاد يغرق لولا أنه وجد لوحًا من الخشب تعلق فيه . ثم جلس وراح يجدف برجليه ويديه حتى وصل إلى جزيرة . . وفى الجزيرة وجد بيضة . وكانت بيضة لطائر ضخم اسمه الرخ أو «الريخ» . . وربط نفسه فى إحدى أصابع الرخ ، وطار به الرخ إلى السماء ونزل به على أرض جزيرة أخرى . . ويقال إنها وادى الماس . . فيها الكثير من الماس . . والناس يصيدون الماس بصورة عجيبة . . يأتون بالماعز ويسلخونها ويسيلون دمها ثم يلقون بها إلى وادى الماس ، فتلتصق بها قطع الماس ويجىء

الطيور تحمل هذه الماعز إلى قمم الجبال وتنهش لحمها ، ويهجم الناس على الطيور فتهرب ، وينقضون على الماعز يلتقطون أحجار الماس التى التصقت بها . وهكذا كل يوم . . إلى آخر مغامرات السندباد البحرى فى رحلاته الخمس .

وكانت هذه هي الليلة ٥٢٦ من « ألف ليلة وليلة » التى تضم حوالى ٤٠٠ حكاية . . وقد تناول بالبحث المؤرخون والأدباء والأثريون ألف ليلة وليلة ، وكانت حفاوتهم شديدة بالسندباد البحرى الذى عاش فى القرن الثامن الميلادى على أيام هارون الرشيد . .

وفى هذا العام أصدر الصحفى الفرنسى ميشيل جال كتابًا ممتعًا بعنوان «سر ألف ليلة وليلة ـ كانت للعرب تقاليدهم أيضًا » .

وقد اهتدى ميشيل جال إلى حقيقة السندباد البحرى : من هو ؟ ومن أين جاء ؟ وتوصل إلى أن فى التاريخ الإنسانى عشرات قاموا بنفس الرحلات قبل ذلك بمئات وألوف السنين . . وإلى المعنى الحقيقى للحيوانات الضخمة فى ألف ليلة وليلة . . حيوان الكركدن ـ أو وحيد القرن ـ وطائر الرخ . . والجن والعفاريت . . والقمقم الذى احتبس فيه العفريت . . وحقيقة على بابا . . وكلمة السر : افتح يا سمسم . . ومن أين جاءت ؟ وما دلالتها الحقيقية . ؟ فأول شيء تدل عليه هو أن « للكلمة » سرا وأن لها سحرا وقوة . . وأنه يمكن فى العصر الحديث أن يتحول الصوت إلى موجات حرارية أو موجات كهربائية بحيث يستطيع أى إنسان أن يقول لجهاز حديث : هات كوب شاى . . أو فنجان قهوة . . فيحقق ذلك دون أن يدعى أحد أنه تجاوز القدرة الإنسانية . . ولابد أن الله سبحانه وتعالى يعنى ذلك عندما قال فى القرآن الكريم : ﴿ إنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون ﴾ أى تكفى الفكرة أو الإشارة إلى الشيء أن يكون ، فيكون كما أراد الله .

ولكن بالنسبة للإنسان ، فإن إرادة الإنسان لا تتحقق دون فعل أو دون حركة منه أو دون صوت . . أما قصة « الجزيرة الحوت » أو الحوت الذى ظنه السندباد البحرى وآخرون أنه إحدى الجزر ، فإذا بالنار التى يشعلونها توقظه ، وإذا به يتحرك ـ هذا الحوت نفسه قد تردد فى قصص قديمة فى شمال أوربا . . هناك مغامرات « القديس براندان » . فهو أيضًا يتحدث مثل « ألف ليلة وليلة» عن رحلة قام بها الكثيرون فى شمال الأطلنطى . وهبت الريح وحطمت السفينة فلجأ الناس إلى إحدى الجزر . . ولكن الجزيرة تحركت . . إلى آخر ما جاء فى رحلة السندباد .

وهناك أيضًا قصة عجيبة عند قبائل « المايا » تقول : ولما ركب البحر ، أرهقه السهر الطويل والرياح العاصفة ، وكان القمر قريبًا وكان ضوءه ناصعًا ، على غير العادة . . وظل القمر يقترب منه . . وازداد احمراره ، وهاج البحر مرة أخرى . . ولا يدرى ماذا حدث بعد ذلك . . لقد نام على ظهر السفينة ، ووجد السفينة قد شدت إلى الشاطئ . . وعلى الشاطئ ظهرت أشجار . . ووجد نفسه مربوطًا بالحبال . . وفك الحبال ، وراح يتلفت . . ونظر حوله ولم يجد أحدًا . . ونزل إلى الجزيرة . . وأدهشه أنها ليست رملية . . وإنما هى صخرية . وليس من السهل أن يمشى عليها . إنها مَزْلَقة . . وأخيرًا تحركت الجزيرة . . إلى آخر قصة القديس براندان وقصة السندباد . . أما هذه القصة المنقوشة على الجدران فى المكسيك ، فعمرها أكثر من خمسة عشر ألف سنة !

وقصة السندباد البحرى هذه ترجع أصولها إلى الآداب الشرقية القديمة كلها . . ولكن العجيب حقًا أن نجد لها نظيرًا فى الأساطير الأوروبية الشمالية ، وأعجب من ذلك أن نجد لها أصولاً فى حضارة المكسيك القديمة .

ولذلك يرى المجتهدون من علماء الآثار المعاصرين أن الجزيرة التى اختفت . . أو التى تحركت ثم اختفت ، ليست إلا قصة رمزية لشىء كان واختفى . . أو لجزيرة كانت وتلاشت . ويرى ميشيل جال ، مثل كثيرين من العلماء ، أنها تشير إلى قارة « مو » الغارقة فى المحيط الهادى . . وأن فى « ألف ليلة وليلة » ما يدل على ذلك وفى مواطن كثيرة .

وقد أشار الرحالة الإيطالى « ماركو بولو» إلى بعض الحيوانات والطيور التى جاءت فى ألف ليلة وليلة على أنها حقيقة أو على أنها كانت ثم انقرضت . .

بل إن هناك قصة فرعونية مشابهة لقصة السندباد ، وهى المعروفة فى التاريخ باسم « قصة الغريق » . هذه القصة مكتوبة على ورقة بردى طولها ثلاثة أمتار وعرضها ٨٠ سنتيمترًا ومسجلة فى ١٨٠ سطرًا ، من بينها ١٣٦ سطرًا رأسيًا و ٤٤ سطرًا عرضيًا . هذه البردية قد عثر عليها أحد الألمان فى القاهرة سنة ١٨٣٠ . ويقال إنه اشتراها من بعض التجار دون أن يعرف هو أو واحد منهم قيمتها . وظلت ألوف السنين سرًا حتى فك رموزها أحد علماء الآثار . . فكانت مغامرة واحد فى البحر الأحمر ، هبت عليه العواصف ، فلجأ إلى إحدى الجزر . . وهذه الجزيرة قد سقطت عليها نجمة من السماء أحرقت كل ما فيها . .

أو بعبارة أخرى : إن نجمة سقطت أو جسمًا ملتهبًا أو انفجارًا وقع عليها فأطاح بحضارتها ، أو بالجزيرة نفسها ، أو كانت الجزيرة حيوانًا هائلاً اختفى فى يوم وليلة ، أو اختفى فى وضح النهار ـ تمامًا كما رأينا مثل ذلك عندما اختفت قارة « مو » فى المحيط الهادى . . ومثل هذه القصة أيضًا ، قصة البطل الإغريقى « عوليس » ومغامراته فى البحار وبين الجزر . .

ويرى الباحث الفرنسى ميشيل جال وآخرون رأيا ـ وربما أشار القرآن الكريم إلى ذلك عندما تحدث عن القرى والمدن التى أهلكها الله لفساد أهلها . .

فالقرآن الكريم يقول : ﴿ ألم تر كيف فعل ربك بعاد * إرم ذات العماد * التى لم يخلق مثلها فى البلاد * وثمود الذين جابوا الصخر بالواد * وفرعون ذى الأوتاد * الذين طغوا فى البلاد * فأكثروا فيها الفساد * فصب عليهم ربك سوط عذاب * إن ربك لبالمرصاد ﴾ .

والباحث الفرنسى ميشيل جال يرى أن « إرم ذات العماد » هذه هى عاصمة قارة غرقت . . قارة أطلانطس ، أو هى قارة « مو » . . التى تحدث عنها الكتاب الفرعونى القديم : « كتاب الموتى » كما رأينا من قبل . .

وأن الذى أصاب هذه القارة هو ما أصاب مدينتى سودوم وعمورة ، وقد حدثتنا التوراة عن ذلك . .

والقرآن الكريم حدثنا أيضًا عن « المؤتفكات » أى سودوم وعمورة أيضًا .

وهذه الآيات القرآنية تربط بين ما حدث فى أماكن مختلفة من العالم قد لحقها عذاب الله وغضبه فاختفت فى الأرض أو فى الماء ، عبرة للشعوب وللحضارات الإنسانية التى تجىء واحدة بعد الأخرى .

أما طائر « الريخ » أو « الرخ » هذا ، فقد ظهر بعد ذلك فى قصص كثيرة . .

وفى ملحمة « الشاه نامه » أو « كتاب الملوك » للفردوسى شاعر الفرس الكبير ، ظهر طائر الرخ هذا وقد قام على تربية وحضانة إنسان غريب غريق . . بل إن هذا الطائر قد نزع ريشتين من جناحه ، وأعطاهما لهذا المسافر

الغريب الغريق . . فإذا أحرق هاتين الريشتين تحققت كل رغباته . .

وهذا الطائر أيضًا موجود فى كل أساطير الشرق الأقصى . .

والآن نعطى الكلمة لجيمس شرشورد ، وهو الرجل الذى كشف لنا عن قارة « مو » الغارقة فى مياه المحيط الهادى ـ كما أشرنا هنا من قبل ـ يقول شرشورد : إن هذا الطائر كان رمزًا ، وكان رمزًا قوميًا ، كما أن النسور فى كثير من دول العالم رمز للقوة والسمو . .

إن هذا الطائر ـ إذن يشبه الطيور التى ظهرت مستديرة الجناحين فى طيور مصر الفرعونية وفى بابل وأشور وفى جواتيمالا والمكسيك . . فهو رمز للقوة السامية الشاهقة . . تمامًا كما اتخذت كثير من الدول النجوم رمزًا لها أيضًا . . وعند اليهود كانت نجمة سليمان . .

ويقال إن طائر « العنقاء » الذى جاء ذكره فى الأدب العربى القديم ، وهو طائر لا وجود له ، أو طائر كان له وجود وانقرض ، هذا الطائر رمز أيضًا .

ويرى الباحث الأمريكى كرستين سالنجر ، أن هذا الطائر قد ظهر على نقوش قديمة جدًا ، ومن غير مناسبة واضحة ، والأقرب إلى العقل أن يكون رمزًا لأناس جاءوا من كواكب أخرى .

أما ميشيل جال ، فيرى أن فى « ألف ليلة وليلة » أدلة واضحة على وجود كائنات أخرى هبطت إلى الأرض . وأن هذه الكائنات حاولت أن تكون على صلة وثيقة وأن تتعايش ، وأنها اضطرت إلى إيذاء الكثيرين ، ولسبب ليس واضحًا اختفت . .

ومن الغريب أن السندباد يحكى أن طائر « الرخ » هذا يعيش على لحم الفيلة . وأن هذه الفيلة يحملها حيوان الكركدن على قرنه الوحيد . . ويظل

يرفعها إلى أعلى ، ويسيل دمها وشحمها حتى تموت وحتى يصاب الكركدن بالعمى . . وتجيء طيور «الريخ » وتنقل هذه الفيلة إلى أعالى الجبال لتطعم منها صغارها . . والغريب أن فى قصص قارة « مو » الخارقة حكمة تقول : بأى شىء يزهو هذا الفيل الثقيل ؟ سوف يظهر له من تحت الماء قرن طويل يرفعه حتى الموت . . ثم يجيء مخلب خطير يرفعه إلى الشمس ليشويه فيها . .

وهذه القصة الأسطورية أو الحقيقية عمرها عشرات الألوف من السنين . كيف ؟

وأسرار أخرى فى « ألف ليلة وليلة » لها دلالات جديدة .

فى عالم الرحلات الفضائية بين الكواكب ـ كما سنرى !

هل الإنسـان
أصله خنزير .. ؟

مثل أسبانى يقول :

يولد ويعيش ويموت الإنسان أعمى ، ولكنه يرى « مرة » واحدة فى حياته !
ولم يقل لنا هذا المثل ما هى هذه « المرة » التى يرى فيها الإنسان الحقيقة أو حقيقة أى شىء . . هل عندما يموت أو عندما يتزوج أو عندما يحب أو عندما يفيق من الحب . ؟ ولكن العالم الأسبانى الأصل جونساليس أوتيجا قد رأى أكثر من مرة فى حياته . ولذلك ظل يكرر أنه شخصيًا يشعر أنه عاش أكثر من مرة . . أى عاش ومات . . ثم عاد ليعيش فى أجسام أناس آخرين عدة مرات . .

ويقول أيضًا : إننى فى أحيان كثيرة أشعر بأننى حيوان . . فأقاوم فى نفسى رغبة مخيفة أن أخنق الناس . . وأندهش كيف أننى فجأة أريد أن أقفز إلى عنق أى إنسان وأقتله وأريح نفسى دون أن أفكر فى النتائج . .

ويقول : أكثر الناس الذين تمنيت أن أفعل بهم ذلك : أصحاب الملايين والفقراء . . أصحاب الملايين لأنهم لا يعرفون الرحمة . . والفقراء لأنهم لا يعرفون الثأر . .

هذا الرجل ليس أديبًا ولا شاعرًا ولا فيلسوفًا ، وإنما هو فقط من علماء

الآثار . . وهذا المثل الأسبانى قد جعل منه السطر الأول فى كتابه « قالت لى الصخور » . . وهذا الكتاب عن « القارات الضائعة » فى أمريكا وآسيا وأوربا .

ومن أمتع فصول هذا الكتاب الفصل الذى تعرض فيه لأصل قصص «ألف ليلة وليلة» . وقد أحس أنه رأى لأول مرة شيئًا غريبًا عجيبًا عندما قرأ قصة الملك شهريار الذى وجد زوجته تخونه مع واحد من الخدم ، فقرر الملك أن يترك لها البلاد والدنيا ، وأن ينتقم من كل امرأة . . . إلى أن رأى عفريتًا ينام على ساق فتاة جميلة ، ولم تكد الفتاة ترى الملك حتى طلبت إليه أن يقترب منها واقترب . . فوجدها قد علقت فى عنقها عقدًا به سبعون خاتمًا . ولما سألها عن معنى ذلك ، قالت إنهم عشاقها . . فكل من يقضى معها ليلة تنزع الخاتم من أصبعه . .

ولكن لماذا ؟ لكى تؤكد قدرتها على خيانة أى كائن حى ، عفريتًا كان أو إنسانًا . . وفى الوقت نفسه لكى تسجل على الزوج الذى نام معها أنه خائن لزوجته ، وأن كل رجل كذلك . . .

ولما رأى شهريار ذلك هانت عليه مصيبته ، وانتهى إلى أن المرأة خائنة أو قادرة على الخيانة حتى لو كنت زوجًا لعفريت . . ومهما كان العفريت قويًا فإن المرأة أقوى منه !

وقال لنفسه : إذا كانت المرأة تخون العفريت ، فما الذى لا تستطيعه مع بنى آدم؟!

ولكن هذه النتيجة لم ترح شهريار لأنه يريد أن ينتقم ، فلا راحة بغير انتقام . . وقف جونساليس أوتيجا أمام هذه القصة ، ثم كتب يقول : رأيت

شيئًا باهرًا أمام عينى . . لقد سمعت بهذه القصة قبل ذلك . . أو رأيتها بعد ذلك . . إنها ليست جديدة تمامًا . .

وظل أورتيجا سنوات لا يعرف أين قرأها قبل ذلك . ثم اهتدى إلى أن هذه القصة العربية الفارسية الهندية كانت موجودة بنفس الشكل والمضمون فى مخطوطات قديمة فى أحد أديرة التبت قبل ذلك بعشرين ألف سنة . . ففى هذه المخطوطات : أن امرأة جميلة أغضبت أمها ، فحولتها الأم إلى شجرة . وكانت هذه الشجرة تتصيد الطيور التى تقف عليها وتحولها إلى أغصان . وكانت الأغصان تتصيد الفراشات وتحولها إلى أزهار . . وكل إنسان ينام فى ظل هذه الشجرة تحوله إلى قطة أو كلبة . .

أما الشىء العجيب حقًا فهو أن هذه الشجرة تتحول فى الليل إلى فتاة جميلة ، وتتحول ساقاها وذراعاها إلى مجموعة من الأفاعى تتضور جوعًا ولا تقوى على أن تبتلع العصافير التى تتهاوى على رأس هذه السيدة . . واستطاعت هذه السيدة أن تقتل من الأفاعى سبعين واحدة . وأن تعلق رءوسها حول عنقها : واقترب منها رجل وقالت له : تزوجنى . فقال : كيف أفعل ذلك وأنت تقتلين الأفاعى ؟! أنت قادرة على أن تقتل أى إنسان . . إلى آخر هذه القصة القديمة . . . ولكن الذى لفت نظر العالم الأثرى الأسبانى : أن امرأة لا تهاب الأفاعى وتقتلها وتعلق رءوسها حول عنقها ، تريد أن تقنع رجلاً بأنها قادرة على الحب والحنان . .

وقد وجد هذا العالم الأثرى القصة نفسها بصورة أخرى على نقوش المكسيك القديمة . . لقد وجد سيدة هزيلة جدًا ولكن لسانها طويل جدًا . . وقد لفت هذا اللسان حول سبعين ثورًا . . وسحبت هذه الثيران وراءها فى كل مكان . . تمر بالثيران على الأنهار وتتساقط الثيران عطشًا ، وتمر بها على الحقول

وتنهار الثيران جوعًا . . إن هذه المرأة قادرة على أن تقتل هذه الحيوانات البرية الشرسة بالحرمان من الطعام والشراب . . ومعنى هذه القصة : أن المرأة أقوى من الرجل ، وأقوى من كل الكائنات الأخرى . . هذه القصة عمرها سبعة آلاف سنة !

وفى « ألف ليلة وليلة » قصة أخرى عن الرجل الذى يضع زوجته فى أحد البلاليص حتى لا تخونه مع أحد ، فكان إذا خرج من البيت ، أخرجت المرأة عشيقها من بلاص آخر !

والذين ألفوا قصص « ألف ليلة وليلة » يصورون العفاريت على أنها كائنات قوية ولكن بلهاء . . . أى أن الإنسان أضعف لكنه أذكى . وهذه العفاريت قوة غاشمة ومطيعة فى الوقت نفسه . فلا يكاد الإنسان يعرف « سر» العفريت حتى يصبح هذا العفريت كلبًا ذليلاً يفعل به الإنسان ما يشاء .

كما أن قصص « ألف ليلة وليلة » تحتقر هذه العفاريت ، ولذلك تجعل العفاريت تسكن دورات المياه والخرائب فلا تعيش فى الأماكن المضيئة أو فى البيوت النظيفة . .

وقد روى الكاتب الفرنسى الكبير أندريه مارلو أنه عندما زار بلاد اليمن ، ومرت به الطائرة فوق منطقة مأرب قال : هنا كانت تعيش بلقيس ملكة سبأ على أيام الملك سليمان . . ولو مرت هذه الطائرة أيام بلقيس لجاءت عفاريت الملك سليمان وأطاحت بها وأسقطتها فى البحر الميت . . وهذه بداية لمسرحية يمكن أن تكون ممتعة ومثيرة جدًا ، وأرجو أن يتسع لى الوقت لكى أكتبها مستعيرًا الكثير من المعانى الفطرية التى جاءت فى « ألف ليلة وليلة » . .

وفى « ألف ليلة وليلة » أيضًا قصص عن الحيوانات وتزاوجها ، وتزاوجها

مع الإنسان أيضًا . . وتزاوج العفاريت مع الإنسان . . ففى « ألف ليلة وليلة » نجد حيوانًا بحريًا يتزاوج مع حيوان برى ـ وهذا مستحيل !

ولكن هذا المعنى موجود فى كل الأساطير القديمة شرقًا وغربًا . .

بل إن العفاريت قادرة على أن تقوم بتشكيل جسمها فتجعله أى شىء آخر.

وفى الأساطير اليونانية القديمة نجد الآلهة أنفسهم يدخلون فى بشرة الإنسان ويتحركون تحت جلد الحيوان . . ثم إن هذه الآلهة يحولون أنفسهم شجرًا وبقرًا وأنهارًا وسحبًا وجبلاً . . أى أن « المادة » طيعة فى أيديهم يمكن تحويلها بسرعة إلى أى شىء ـ وهذا هو حلم الإنسانية الأكبر فى جميع العصور . فالعلماء ورجال الدين والسحرة يحلمون بأن يعرفوا « سر المادة » و «سر الخلية الحية » . وبذلك يصبحون قادرين على عجنها وخبزها فى أية صورة . .

أو بعبارة حديثة : إذا عرف الإنسان سر الخلية الحية ، فإنه يصبح قادرًا على « تخليق » الإنسان أو الحيوان فى المعمل . .

ولا يزال هذا حلمًا بعيدًا جدًا . وكان العلماء يقولون : سوف يصبح هذا ممكنًا .

ورجال الدين يقولون : بل مستحيل ، لأن سر المادة والحياة هو الله .

إنه حلم مجنون . أو حلم أصاب بالجنون كل العلماء والسحرة وقوة السلاطين والفلاسفة فى العصور القديمة والحديثة أيضًا . .

فهل الذى تتحدث عنه الأساطير القديمة ، كان حلمًا ، أو هو ذكرى لحقيقة معروفة اهتدى إليها الإنسان أو أية كائنات عاقلة أخرى عاشت على الأرض بعض الوقت ، أو ما تزال تعيش فى كواكب أخرى فى هذا الكون ؟

هذا السؤال هو السؤال الأساسى فى كل المناقشات القديمة والحديثة لمعنى الأساطير الفرعونية والإغريقية والبابلية والهندية وأساطير الأنكاس والمايا والتبت . .

إنه نفس الحلم القديم بتحويل المعادن إلى ذهب . . أو بتحويل المعادن بعضها إلى بعض .

أى كيف يمكن أن تتحول المادة إلى أى شىء تريده ؟ لقد حققت علوم الكيمياء شيئًا من ذلك . . فقد حولت أوراق التوت إلى حرير وحولت الفحم إلى لحم ، كما حولت شدة حرارة الأرض كل أسماك البحر إلى بترول .

فالمعنى هو : كيف يمكن تحويل الأحياء بعضهم إلى بعض ، وكيف يمكن تحويل المواد بعضها إلى بعض ؟ وبذلك لا تكون هناك أية صعوبات فى أن يصبح الإنسان حيوانًا ، والحيوان عفريتًا ، والعفريت حجرًا أو شجرًا أو سحابة أو كلبًا أو قطًا ـ هذا هو المعنى الذى يلح على كل الرءوس فى كل العصور القديمة . . عصور الحضارة الإنسانية . . والحضارات التى سبقت وجود الإنسان على هذه الأرض . . أو الحضارات الإنسانية التى تعاقبت على هذه الأرض عشرات المرات . . ثم اختفت أو اندثرت لأسباب ليست واضحة عندنا الآن . ولكن من الممكن أن نعرف شيئًا عنها يومًا ما . .

وقد اختلفت التفسيرات لأساطير مصر القديمة واليونان القديم. أما أساطير مصر فجاء تفسيرها دينيًا بحتًا ، لأن الدين هو المنبع الحقيقى لكل ما فعله الفراعنة ، ابتداء من وضع الملح فى بطن الميت إلى بناء الأهرام .

أما الأساطير اليونانية فقد فسرت على أن هناك « معارك » و « ملاحم » بين الإنسان والآلهة ، وأن الإنسان استطاع أن يتغلب على الآلهة بذكائه ، ولكن

الآلهة ـ كالعفريت ـ أقوى من الإنسان ، وتحسده على ذكائه ، وتندم على أنها خلقته . فالإنسان كافر بطبيعته ، أى كافر بالذى خلقه من الآلهة . ولذلك احتاجت الآلهة إلى أن تذكره دائماً بأنها هى التى خلقته من العدم ، وأنها هى التى أعطته العقل وفضلته على بقية الحيوانات . ولكن الإنسان يتمرد على الآلهة ، لأنها إذا كانت قد خلقته وأعطته الحرية ، فإن الحرية ليس معناها أن يكون عبدًا ذليلاً . . ولذلك نجد آلهة الإغريق فى حالة من « الأسى » على أنها خلقت الإنسان الذى كفر بها ، وكان لابد أن يفعل ذلك !

ولكن روبرت جريفز أمير الشعراء الإنجليز اهتدى إلى تفسير لهذه الأساطير واستراح إليه . ففى مقدمة كتابه عن « الأسطورة الإغريقية » أن الإغريق كانوا جماعة من الحشاشين العباقرة ، وأن هذه « التحولات الهائلة » من الإنسان إلى الحيوان إلى النبات لا يمكن أن تتأتى إلا إذا كان الإنسان قد تعاطى نباتات الهلوسة . . ولا تفسير غير ذلك . ففى الأساطير اليونانية نجد الآلهة تسكن الجبال وهى فى الوقت نفسه فى حجم الجبال . . ثم إذا هى فى حجم كف اليد . . ثم تصبح بعد ذلك أمواجًا وسحبًا وطيورًا وأغنامًا . . ومئات الأشكال والأحجام . وكل ذلك ليس إلا نوعًا من الحشيش . وقد اهتدى روبرت جريفز إلى النباتات المخدرة والمهلوسة التى كان يتعاطاها الإغريق على أيام الشاعر الأعمى هومبروس الذى ألف كل قصص الملاحم الإغريقية وراح يرويها للشعب الإغريقى وللإنسانية ، فكان هو نفسه أكبر مصدر للحشيش الفنى من خمسة وعشرين قرنًا !

وليس هذا إلا واحدا من تفسيرات كثيرة لأساطير الإغريق . وهو تفسير سهل ولكنه ليس مريحًا ، ولم يعد بعد مقنعًا . فالحشيش أكثر انتشارًا اليوم مما كان أيام الإغريق ، ولم يسفر هذا الحشيش عن مثل هذه الملاحم العظيمة ، ولا عن مثل معانيها الباقية . .

وإذا اعتمدنا على هذا التفسير ، فإننا لا نستطيع أن نفسر به أساطير الفراعنة وبابل وأشور والتبت والهند والمكسيك وبيرو ولا كل أساطير جزر المحيط الهادى !

ولأن هذه نظرية لشاعر كبير ، فهى تستحق الاهتمام والمناقشة .

أعود إلى كتاب ميشيل جال « أسرار ألف ليلة وليلة » الذى خصص فيه صفحات عديدة للملك سليمان ـ وكثير جدًا من الكتب اليهودية ودور النشر اليهودية تريد أن تستدرجك دائمًا إلى أن التوراة هى الكتاب الأوحد ، وأن سليمان هو الحكيم الفريد فى جميع العصور .

والمعنى الذى يلح عليه اليهود ، هو أن اليهود هم مصدر الحكمة القديمة والجديدة . ولهذا فأنا أعذر الذين يخشون أن يسيطر هذا المعنى على أقلام الباحثين عن الأسرار القديمة ، وأرى أن الحق مع هؤلاء الخائفين على الحضارة الفرعونية والحضارة العربية أيضًا ، ولهذا يجب أن ننبه أنفسنا إلى ذلك حتى لا نقع فى المصيدة . .

ولذلك فميشيل جال ، شأن الكثير من الباحثين ، يقوم برصف الطرق وتزيينها وتجميلها حتى يدخل بك فى حضرة الملك سليمان بين رجاله وطيوره وحيواناته وشياطينه . .

ولكن رغم هذا الاستدراج المستمر ، فإن هؤلاء الباحثين أنفسهم يؤكدون أن الحكمة كالشمس والدفء . . نستهدى بها ، وننتهى إليها ونتجاوزها . . إنها تنير لكل الناس ، وليس لواحد من الناس ، أيًا كان هذا الواحد . .

إن ميشيل جال ، وهو أحدث الذين كتبوا عن الأسرار القديمة يقول : إن هذه السجاجيد العجمية التى انتشرت فى قصص « ألف ليلة وليلة » ليست

كلها مصنوعة فى أرض فارس ولا مفروشة فى بيوت عربية . . إن خيوط هذه السجاجيد قد هبطت من السماء على أيدى كائنات أعقل منا ، ثم تركوا شيئًا منها أو من ذكراها فى أماكن كثيرة من العالم ، وتركوها بصورة مثيرة لخيال الإنسان ، كأنهم يعلمون ذلك . . وكان ذلك نوعا من التحدى له . . ولا شىء يلهب مشاعر الإنسان وقدراته وكرامته مثل أن يجد نفسه فى حالة من التحدى . . وهذا الإنسان يتحدى من لا يعرف . . ولم يتوقف عن التحدى . . يكفى أن يقال له : إن كائنًا عاقلاً جدًا جاء إليك فى سفينة فضاء ثم ترك لك هذه الرسالة . . ثم إذا الإنسان يقلب هذه الرسالة فيجد أن بعض حروفها قد تساقطت بمرور الزمن ، ثم إنها ليست مكتوبة بلغة واضحة ، أو بلغة يعرفها . . هذا ما حدث للإنسان فى العصر الحديث . . فهو فى كل مكان يجد حرفًا أو كلمة سقطت من هذه الرسالة الواحدة فى أماكن كثيرة من العالم . .

ويقول جال أيضًا : إن الرسالة التى بدأت كلماتها فى منطقة أهرامات الجيزة وانتهت عند أهرامات المكسيك . . هذه الرسالة لغز الحضارة الإنسانية كلها . . ولذلك فنحن عندما نعيد التفكير فى كل شىء فنحن نستأنف حمل السلاح والدخول فى معركة اسمها : من الذى كان هنا وفعل هذا وتركه لنا ويستعجلنا الرد على هذه الألغاز ؟

إن ميشيل جال قد حدد معالم التحديات التى واجهت الإنسان لكى يفهم هذه الألغاز المبعثرة فى أماكن كثيرة من كوكب الأرض . . وهو وإن كان يريد أن ينتهى إلى التوراة واليهود ، فإنه لا يستطيع ذلك دائمًا . . فقد كانت هناك حضارات أخرى قبل سليمان ، وسوف تكون حضارات أخرى بعدنا أيضًا . فمن يدرى أن نهاية هذه الحضارة ستكون انفجارًا ذريًا يقضى على الأرض

كلها. وقد حدث ذلك عدة مرات . وظهر آدم عليه السلام ومن بعده نوح ولوط . والعلم الحديث يؤكد لنا أنه لو حدث شيء بعد ذلك فإن الانفجارات الذرية ستقضى على كل شيء إلا الخنازير . . فهى وحدها التى لا تقتلها الإشعاعات الذرية . .

ويتساءل العلماء : هل حدث ذلك من قبل أن تحولت هذه الخنازير إلى كائنات تمشى على رجلين . . واستغرق ذلك ملايين السنين أو كانت التحولات سريعة جدًا واستغرق ذلك ألوف أو مئات السنين . . وبذلك لا يكون الإنسان أصله قردا ، وإنما يكون أصله خنزيرًا !

. . وهى جميعًا محاولات للفهم أو محاولات للسخرية من عجز الإنسان عن الفهم !

وإذا عدنا إلى « التفسير الحشيشى » لأساطير الإغريق وكل الأقدمين ، فإننا نجد أن عددًا كبيرًا من الأدباء والشعراء فى الشرق والغرب قد عالجوا بخيالهم الحيوانات الغريبة العاقلة أو الحيوانات الأكثر عقلاً وذكاء من الإنسان . .

مثلاً : الكاتب الإنجليزى سويفت فى «مغامرات جلفر» قد جعل الحيوانات أكثر ذكاء من الإنسان . . ويرى أنه منتهى الغرور من الإنسان أن يتوهم نفسه أذكى الكائنات وأقواها . . ولذلك نجد أن القس الساخر سويفت قد وصف لنا حيوانات أعقل ، أو لابد أن تكون هناك حيوانات أعقل وأذكى من الإنسان . . وأن الإنسان قوى بعقله ولكنه ضعيف بجسمه هزيل بغروره .

إن الإنسان هو الباحث عن الحكمة . أو الباحث عن الشمس أو مصدر النور فى كل مكان . . إنه ابن الشمس أو عابد الشمس . . ثم إنه يجب أن يكون ملوكه وفلاسفته قد جاءوا من الشمس أو عاشوا من أجلها ـ كما سنرى !

أناس يعيشون
وراء الشمس

لماذا الشمس الدائرية المكسورة من الجانب الشمالى منها ؟

لابد أن يكون هناك سبب دفع الذى رسمها إلى أن يجعلها كذلك . وما المعنى ؟

لابد أن يكون هناك معنى . والمعنى ليس واضحًا الآن .

ولكن هناك محاولات علمية لمعرفة ذلك . .

وسوف أختار ثمانى قصص مثيرة معروفة فى التاريخ القديم والحديث . وفى كل واحدة منها لغز ، واللغز هو الشىء البارز فيها ، وهو الذى دوخ العلماء، ولا يزال .

— ١ —

عندما انسحب نابليون من موسكو ، يقال إنه حمل ما فى المتاحف والكنائس وبيوت النبلاء من تحف ومجوهرات . ويقال إنه حمل كل ما عندهم. ولو رجعنا إلى المؤرخين لوجدناهم بالغوا فى الذى أخذه أو بالغوا فى أنه رفض أن يأخذ شيئًا . ولو قرأنا ما كتبه الكاتب الإنجليزى والتر سكوت عن نابليون لوجدنا أنه وصف نابليون بالرجل الذى دانت له كل القمم

وانهارت أمامه كل القيم ، وزهد فى كل الذهب والماس . . وأنه رجل يحمل على كتفيه عبقرية أغلى من الماس ، يرفض تمامًا أن يملأ جيوبه بشىء آخر غير أفكاره وخططه . . أى أنه لم يأخذ معه أى شىء . .

ولكن مؤرخين فرنسيين يؤكدون أن نابليون قد حمل معه صناديق ملأى بالمجوهرات . .

ويقال إنه عندما خرج من موسكو جاءه طفل صغير يقول : يا جلالة الإمبراطور ، انتهى كل شىء عد إلى بلدك .

فصرخ نابليون : من يكون هذا ؟ اقتلوه .

وعندما انطلق الرصاص على الطفل كان قد اختفى وراء الأشجار مع سقوط الجليد . . ولم يكد يختفى حتى ظهر طفل آخر يقول : يا إمبراطور العالم إلى من تحمل هذه المجوهرات ؟! ارمها فى البحيرة . . ارمها كلها إلا واحدة . . هذه الواحدة هى التى سوف تصونك من الموت والهزيمة . .

ولم يشأ نابليون أن يلتفت إلى الطفل . ولكن أحد ضباطه اقترب قائلاً : من أنت؟

قال الطفل : أنا مثل نابليون ابن الشمس . . هو أيضًا ابن الشمس . . وهذه «الماسة الزرقاء» التى يحتفظ بها الإمبراطور فى جيبه قد سقطت من الشمس ، أو هى تسقط أشعتها عليه وعلينا كما لو كانت شمسًا .

وثار الإمبراطور ، فقد كان أخفى ماسة ضخمة فى جيبه الصغير ، وبسرعة مد يده إلى جيبه وأخرجها فسقطت من يده فى الوحل . . وامتدت إليها يد الطفل واختفت فى جيبه ، واختفى الطفل ، وأقنع نابليون كل ضباطه أنه كان يحلم ، وأنهم شاركوه هذا الحلم . . وصدقوه !

فقد كان فى استطاعة نابليون أن يؤثر على ضباطه وجنوده وأن يوهمهم ويلهمهم أى شىء !

ويتساءل المؤرخون : ما هذه الماسة ؟ ومن أين جاءت ؟ إن نابليون قد ذكر ذلك مرة وهو يتحدث إلى طبيبه فى منفاه بجزيرة سانت هيلانة . . ومما قاله نابليون : إن هذا الطفل كائن عجيب ، وإن دهشته وغضبه واستغراقه التام قد شغله عن النظر طويلاً إليه . .

وربما كان نابليون بقوة ملاحظته أول من أشار إلى أن هناك نقوشًا بيضاء على صخور سانت هيلانة لرجال يشبهون هذا الطفل ، وقد أمسك كل واحد منهم «ماسة» أو قرصًا شمسيًا . . ولكن لماذا ؟

— ٢ —

عندما ذهب الكاتب الفرنسى روبير شارو إلى بيرو زار أحد الأديرة . قابله راهب وفاجأه بكثير من الأسئلة : أنت يا ولدى جئت تبحث عن الشمس ؟

ـ عن أشياء كثيرة ليس من بينها الشمس .

ـ أنت لا تبحث عن شىء ما له معنى . فقد اختلفت لغات الناس وأعمارهم وأقدارهم ولم يختلفوا على معنى الشمس ، ولا عن أثرها فى حياتهم . . إنها لا شىء الآن . . لقد كانت كل شىء يومًا ما . . إننا لا نزال نقول فى لغتنا : أناس وراء الشمس . . أى أناس قد اختفوا بعيدًا عن العيون . . الذى تحت الشمس هو الذى نراه ، ويمكننا الاهتداء إليه ، ولكن الحقيقة أن كل شىء يجىء من وراء الشمس . . انظر . ثم أخرج الراهب البوذى تمثالاً صغيرًا لرجل حمل قرص الشمس على رأسه ، ومن وراء القرص

جاء أناس رءوسهم كبيرة وأجسادهم صغيرة ، وفى أقدامهم ريش ، أو شىء كالريش أو كزعانف السمك ، يطيرون أو يسبحون به . . ووراء هؤلاء جميعًا دوائر مفرغة ، أو كرات مثل سفن الفضاء . . أما عمر التمثال فيبلغ سبعة عشر ألف سنة !

ولما اندهش روبير سارو مؤلف الكثير من الكتب عن سكان الكواكب الأخرى وأسرار الكرة الأرضية والقارات الغارقة ، أخرج الراهب نسخة أخرى من التمثال ، وقال له : كل من هذين التمثالين يشير إلى أن هناك واحدًا آخر . انظر إلى قاعدة التمثال ، إن بها سهمًا متجهًا إلى التمثال الآخر . . ثم سكت الراهب البوذى : لن تسألنى أين وجدت ذلك !

ولم يدعه يفكر حتى أشار إلى الصحف التى صدرت قبل أسبوع . .

إنها تؤكد عثور الصيادين على التمثالين معًا فى بطن حوت . لماذا ؟

— ٣ —

فى سنة ١٩٢١ عثر أحد الأثريين الأمريكان فى شبه جزيرة يوكاتان على صخرة على شكل كرة كاملة الاستدارة . الصخرة قطعة واحدة وقطرها ثلاثة أمتار . ولما قام بغسلها وتنظيفها وجدها ناعمة تمامًا ، ليس فيها أى أثر لإزميل الفنان الذى قطعها ودورها . . وعالج الصخرة بالكحول ، ثم بالماء الساخن ، ثم ببعض الأحماض . . ولكن الكرة الهائلة لم تستجب لشىء ، وظلت صامتة صماء . ولكن أحد الهنود الحمر طلب إليه أن يتركه مع هذه الكرة وحده ثلاثة أيام . . وأن يضعها تحت خيمة من القماش .

وبعد ثلاثة أيام جاء العالم الأثرى الأمريكى هربرت كاتلن ، فوجد أن سطح الكرة قد أصبح على شكل مربعات ، فى كل مربع رسوم ونقوش . .

وكلها تروى قصة واحدة معناها : أن أناسًا كانوا يسكنون الشمس ، وأنهم نزلوا منها إلى النجوم ، ومن النجوم إلى كواكب أخرى ، وأنهم عادوا بالفعل . .

وسارع العالم الأمريكي فصور هذه النقوش . ولما سأل الهندى الأحمر عن كيفية إبراز هذه النقوش ، أخبره بالسر . أما السر فهو أنه استخدم لبن الماعز مع عصير بعض الأعشاب ، وراح يصبها وهى تغلى على سطح الكرة . . ولكن من الذى كتب ذلك ؟! ومن الذى علم الهندى الأحمر قصة الهبوط من الشمس . . أو الذين أسقطتهم الشمس على أرضنا ؟!

ـــ ٤ ـــ

الكاتب الألمانى الشهير إيريش فون دينكن الذى ألف كتب : « عربات الله » . . و« الشمس والآلهة » . . و « لسنا وحدنا فى هذا الكون » . . و«السماء مناجم ذهب » . .

هذا الكاتب دخل السجون السويسرية وفاء لدين عليه . .

. . هذا الكاتب الألمانى قد لقى فى السجن زميلاً من البرازيل . . هذا البرازيلى هوايته جمع التحف القديمة . وقد سمع منه هذه القصة : إن هذا البرازيلى له بيت . وهذا البيت له سقف مرسوم عليه نقش الهيئة الفلكية الموجودة فى معبد دندرة . . ويقول إنه فى يوم من أيام السنة يدخل شعاع من الشمس إلى أرض البيت . . يوم واحد وساعة واحدة . . وقد عرف ذلك من والده . ولكن الكاتب لم يصدق ذلك . .

أما الشيء العجيب فى هذه الغرفة فهى أنها تقع فى الدور السابع فى عمارة من ثلاثين دورًا ، ثم إن هذه الغرفة لا تطل على شارع أو ترى الشمس . . ونام بنفس الغرفة التى تعلوها والتى تحتها والتى تجاورها . . ثم عرف فيما بعد

أن عددًا من الهنود الحمر يعرفون هذا السر ويستخدمون علامات وطقوسًا تستدرج أشعة الشمس إلى بيوتهم وكهوفهم حتى فى منتصف الليل . كيف ؟ ولماذا ؟ ومن أين عرفوا ذلك ؟

ــ ٥ ــ

العالم الأمريكى دريك الذى حاول فى الستينيات أن يسلط أشعة مكثفة على أحد الكواكب البعيدة عن الأرض بحوالى عشر سنوات ضوئية . وقد فشل هذا المشروع لأنه عندما سلط إشارات عالية التردد ، لم يتلق ما يفيد أن أحدًا قد أحس بها أو استقبلها . . وكان من أحلام العالم دريك أن يدرك سكان الكواكب الأخرى أننا هنا . . وأننا ندرى بهم ، وأننا نريدهم أن يعرفونا . .

ولكن هذه المحاولة قد دخلت التاريخ على أنها خطوة علمية نحو المجهول ولابد أن تجىء من بعدها خطوات أقوى وأوضح وسوف يحدث ذلك . .

ولابد

وبعد خمس سنوات من هذه المحاولات الفريدة يسافر دريك إلى جزيرة «موانى » إحدى جزر هاواى . . وفى إحدى الليالى قدموا له ساحر الجزيرة وطبيبها . واقترب منه الساحر وقال له ما معناه : أنت فشلت مثل غيرك من مائة ألف سنة !

ولم يفهم العالم الأمريكى دريك . .

وذهب الساحر إلى أحد الكهوف . ووجد على الكهف من الداخل نقوشًا لثعابين تدور حول الشمس وتتدلى منها . . « النقوش نفسها موجودة فى بريتانى فى شمال فرنسا وفى إسكتلندا أيضًا » . وفى جانب من الكهف أناس قد أداروا ظهورهم لشعاعات تجىء من بعيد . . وأشار الساحر إلى هؤلاء الذين أداروا ظهورهم ولا يريدون أن يجيبوا أو يستجيبوا .

واندهش دريك ونشر مقالاً مثيرًا بهذا المعنى . والذى أذهله : كيف عرف هذا الرجل البدائى ؟ ثم كيف أن أناسًا من مئات الألوف من السنين قد حاولوا مثلى ، ولكنهم لم يفشلوا ؟ فقد عرفوا وتأكدوا أن هناك كائنات فى عوالم أخرى . . وأنها لا تريد أن تستجيب لهم .

ولكنه هو شخصيًا حاول دون أن يكون على يقين من أى شىء كيف فعلوا ذلك ؟ ومن أخبرهم ؟ ومن علمهم ؟

— ٦ —

هذه الممرات على قمم الجبال . إنها تشبه ممرات الطائرات تمامًا . . واسعة مرصوفة جيدًا . . ولا تزال عليها آثار عجلات غائرة . . قد عثر الباحثون على ذلك فى بيرو وفى بوليفيا . .

ولكن المؤلف الألمانى بيترزو نتفلد قد استطاع بأجهزة إلكترونية شديدة التعقيد أن يجد أثرًا لعجلة سفينة فضاء . . وأن هذه العجلة مصنوعة من البلاتين والمطاط ، وأنها هبطت بعنف على ممر أحد الجبال ، وأن وزنها يبلغ أربعين ألف طن ، وأن هبوطها كان اضطراريًا ، وأنها تحطمت . . وقد لاحظ أن عند نهاية الممر الذى هبطت عليه توجد خريطة بها قرص للشمس ، وأن هذا القرص مكسور من الناحية الشمالية ، وأن مثل هذا القرص قد عثر عليه هو أيضًا فى جزيرة « الفصح » ، وأنه لا يختلف عن قرص الشمس الفرعونى على أيام الملك أخناتون ، بل إنه توجد خريطة أخرى فى جزيرة الفصح وقد ارتسمت عليها أكف وأذرع تتجه إلى الشمس تمامًا كما نجد ذلك فى عصر أخناتون . . فما معنى ذلك ؟ وما هو بالضبط الذى جرى وتوقف وانكسر واحترق على قمم الجبال ؟

— ٧ —

فى المكتبة الأهلية بباريس صورة لورقة بردى فرعونية يرجع تاريخها إلى عصر أخناتون ، عثر عليها عالم فى أسوان فى نهاية القرن الماضى . فى هذه الورقة عبارة مبتورة تقول : إنك إنسان عادى جدًا ، ولا أظن أنك جئت من وراء الشمس . .

وعبارة أخرى تقول : مرحبًا بك يا أخى فأنت غريب عنا لأنك جئت من وراء الشمس ، وكانت رحلتك شاقة وركبت فيها عددًا كبيرًا من السفن التى لم تقف عند شاطئ ، والتى سبقت الطيور إلى الأرض . .

وعبارة ناقصة تقول :

من الذى يعرف مقدارك وأنت القادم إلينا من وراء قرص الشمس ؟ إن لم تكن ابن السماء فمن الذى يكون أباك أو أمك . .

أما هذا الإيطالى الذى عثر على هذه البرديات فاسمه ريكاردو بوتشيللى . . أعجب ما يعترف به بوتشيللى هو أنه كان قد فرغ من كتابة قصة انتهت بهذه العبارة التى وجدها فى آخر البرديات التى عثر عليها ، ولم يكن قد قرأها ولا عرفها ولا حتى عرف اللغة الهيروغليفية بعد !

— ٨ —

أما الذى عثر عليه العلماء فى نيفادا بولاية إنديانا بالولايات المتحدة ، فهى نقوش عجيبة على الصخور . ماذا تقول ؟ ومن الذى يقول لمن ؟ من كتبها ؟ من نقشها ؟ وإذا كان عمرها يرجع إلى ثلاثين ألف سنة ، فما معنى ذلك ؟ إن هذه النقوش وحدها قد اتخذت الشمس مركزًا ومنطلقًا لها ، وفسرها العلماء مئات التفسيرات . ولكن أحدًا لا يدرى بالضبط ما معنى هذه الكائنات

الطائرة ؟ وما معنى الشمس وما معنى الكائنات وراء الشمس ؟ وما معنى هذه النقوش التى تشبه بالضبط نقوشًا أخرى رسمها سكان أستراليا الأصليون ؟ مع أنه من الثابت تاريخيًا أن سكان أستراليا الأصليين شعوب بلا حضارة ، أو شعب ليس له ماض . . كيف حدث ذلك ؟

وغير ذلك من أسرار هذه الأرض وعلاقتها بالسماء ، أو سكان السماء ، إنها تفتح الشهية للتفكير . . وتضع أصابعنا على مفاتيح صغيرة ، وتلهب خيالنا لعل أحدًا يساعدنا على المعرفة . . وإذا لم نجد ما يثير وما يفتح الشهية ، فإن حياتنا تصبح مملة راكدة آسنة ـ الموت أفضل منها . .

فإلى أبواب أخرى بين السماء والأرض ندقها لعل أحدًا يفتح لنا أو يفتح علينا ـ

كما سنرى !

يا بركة
على درويش

قبل ذلك أطل الفيلسوف الإغريقي ديوجين برأسه من صندوق الزبالة ، فوجد أمامه الإسكندر الأكبر ، فأعاد رأسه إلى ما كان عليه . ولما اقترب منه الإسكندر وجده لا يريد أن يكلمه أو ينظر إليه ، فضحك وتركه . . وجاء الناس إلى ديوجين يطلبون إليه أن يطل برأسه عليهم ، ولكنه رفض . فقالوا له : ولكن الإسكندر قد مضى منذ ساعة .

فلم يخرج الفيلسوف رأسه وقال : صحيح أنه قد مضى ، ولكن لابد له من بقية . . لا شيء يمضي هكذا دون أن يكون له ظل أو صدى أو مضاعفات أو بقية ! فكل شيء له بقية ، هذه هي الكلمة والحكمة معًا .

ولولا أن كتابًا جديدًا صدر في أمريكا بعنوان « لا نحن أول الناس ولا آخرهم على هذا الكوكب » من تأليف أندرو توماس ، لكنت أنهيت هذه السلسلة . ولكن الكتاب الجديد أتى بجديد أيضًا ، فهو بعد أن استأنف كل القضايا التي أثرتها في الفصول السابقة ، عاد يؤكد أن حضارات توالت على هذه الأرض ، وأن هذه الحضارات اندثرت من تلقاء نفسها ، أو اندحرت تحت ضغط إنساني عنيف أو بسبب كوارث فلكية . . ولكن بقايا هذه الحضارات قد استأثر بها العلماء ، وأن العلماء في كل العصور هم كهنة

الأديان، أو هم الرهبان الذين اختاروا العزلة عن العالم . ثم إن هذه العلوم التى انفردوا بها جعلوها فى خدمة الدين ، أو فى خدمة الملك . . وبذلك يوهمون الناس أنهم يملكون قوة العلم وقوة السحر ، أى أن السماء قد أعطتهم كل ما يمكنهم من السيطرة على الأرض وأهل الأرض . . وما من ملك فى كل التاريخ إلا استخدم كلمة « السماء » فى كل ما يقول ؛ أى أن السماء قد اختارته، ومادامت قد اختارته فهى ساندته ، وأنه خير للناس أن يلتفوا حول ابن السماء ، وأن يصدقوا الكهنة والرهبان الذين يقدرون على سماع كلمة السماء ونقلها إلى الناس .

والمؤلف أندرو توماس قد جمع مئات الأدلة العلمية والأثرية .

ففى أحد الفصول يؤكد لنا أن الأقدمين ومن ألوف السنين قد اهتدوا إلى الكهرباء واستخدموها ، واستخدمها الكهنة فالتف حولهم الناس . ففى سنة ١٩٣٨ عثر الباحث الألمانى فلهلم ونيج على بطارية جافة بالقرب من بغداد . . فقد وجد عددًا من الآنية الفخارية وفيها أعمدة من النحاس المغطاة بالبترول الجاف . وعندما راح يقلب فيها ويصنع نموذجًا مثلها ووضع بعض ماء النار وأوصلها بعضها ببعض أضاءت مصباحًا كهربيًا .

وفى كتاب لهذا الباحث الألمانى بعنوان « تسع سنوات فى العراق » أصدره سنة ١٩٤٠ يقول : أعتقد أن هذه أول بطارية جافة عرفها الإنسان ومن المؤكد أنها ترجع إلى أربعة آلاف سنة ، وأن الذين صنعوها قد عرفوا كيف يحرصون على عدم تسرب الكهرباء ، وفى الوقت نفسه كانوا حريصين على استخدام مواد لم نعرفها إلا من عشرات السنين . .

وجاء أحد رجال شركة « جنرال إلكتريك » العالمية وصنع نماذج عديدة لهذه البطاريات الفخارية ، وتأكد لديه أن هذا النوع من البطاريات يشبه تمامًا تلك

البطاريات التى يستخدمها عمال المناجم أو التى تستخدم فى المناطق النائية . فهى قادرة على البقاء طويلاً .

أما الأستاذ الفرنسى سورا فهو أول من قال إن البطاريات العراقية ـ بطاريات بابل ـ كانت قد نقلت عن بطاريات أخرى عثر هو عليها فى مصر . فالفراعنة هم أول من استخدم هذا النوع من البطاريات الكهربائية فى المعابد . . وقد اهتدى فى أحد مقابر الأقصر إلى قطع متفرقة من البطارية إذا وضعت معًا أضاءت . والذى أدهش الأستاذ سورا أن الفراعنة عرفوا أنواعًا من السوائل لم يهتد إليها حتى الآن . . إذ كيف استطاع الفراعنة أن يستخدموا الزيت والنبيذ والعسل معًا فى صنع عجينة تحدث شرارة كهربية ؟! وفى المؤتمر الدولى الذى انعقد فى شيكاغو سنة ١٩٦٨ أعلن برولمان ، أن هذا الاكتشاف الذى اهتدى إليه الأستاذ الفرنسى سورا هو من أعظم ما عرفنا حتى الآن عن أسرار بعض المواد البدائية ، وأنه هو شخصيًا اضطرته الظروف إلى استخدام بعض الأعشاب مع عسل النحل والنبيذ فصنع مصباحًا مشعًا ، ولكن ضوءه كان ضعيفًا . . ولابد أن الفراعنة قد اهتدوا إلى أشياء أخرى لا يعرفها أحد بالضبط !

ثم قال برولمان : وربما أن هذا هو التفسير العلمى لما جاء فى البرديات القديمة من أن عباد الإلهة إيزيس كانوا يلاحظون أن فى عينيها بريقًا عجيبًا . . أو شرارة باهرة . ولذلك كانوا لا يرفعون عيونهم إليها . . ربما أن هذا البريق هو بطاريات كهربية قد وضعها الكهنة وراء التمثال . . ليس هذا شيئًا مستحيلاً مادام الفراعنة قد عرفوا الكهرباء . .

وفى الكتب البوذية القديمة : أن بوذا نفسه كان يستغنى عن نجوم السماء ، لقد كان يضيء لنفسه وللذين حوله ! . .

وفى مقابر وكهوف كثيرة فى أوروبا عثر الأثريون على مصابيح مضيئة . فعندما فتحوا مقبرة تومابومبلليس ثانى ملوك روما وجدوا مصباحًا مضيئًا . . مضيئًا منذ ألفى سنة ! .

وفى معبد جوبتر ـ آمون كانت المصابيح تضيء مئات السنين .

وفى البرديات القديمة التى ترجع إلى ثلاثة آلاف سنة نجد مثل هذه العبارات : وفى المعبد قطعة من الماس شاء الإله أن يجعلها تنير إلى الأبد . . إن الشمس قد نزلت إليها فهى تضيء ليلاً ونهارًا .

وفى معبد الآلهة منرفا كان مصباح له ضوء لا تقوى عليه العيون ، وكان من الأزل إلى الأبد ـ هكذا قالوا :

يقول الشاعر اللاتينى فرجيل : إن السماء قد نسيت قطعة منها فى هذا المعبد ، فكنا إذا نظرنا إليها أوجعتنا عيوننا ! .

والقديس أوغسطين (٣٥٢ ـ ٤٣٠) يقول إن المصريين لديهم مصابيح لها ضوء عجيب ، ضوء بلا دخان ومصابيح باردة ، وأن نورها أخضر بارد ، وأن فى معبد الآلهة إيزيس هذا الضياء البارد ، وأن هذا الضياء لا تؤثر فيه العواصف والأمطار . . أليس هذا شيئًا عجيبًا ؟ ! .

وفى تابوت فتاة فى روما الذى اكتشفوه فى أبريل سنة ١٤٠١ وجدوا جسمها محنطًا على الطريقة الفرعونية . وعندما نزعوا مادة التحنيط وجدوا شفتيها ورديتين ناعمتين ، فعرضوها على الجماهير . . ولما نزعوا غطاء التابوت تمامًا ، وجدوا عند قدميها مصباحًا مضيئًا منذ ألف ومائتى عام ! .

لقد عرف الإنسان المصباح الكهربى من ألوف السنين . وانتشرت هذه «المعلومة» فى أماكن كثيرة من العالم . ومن العجيب أن المصابيح القديمة جدًا

كانت أكثر تقدمًا من المصابيح والبطاريات التى انتشرت بعد ذلك . فكأن البطاريات والمصابيح التى كانت قريبة من أبناء الحضارة التى انقرضت أو تلاشت ، هى الأكمل والأدق ـ ولكن الانتشار والتقليد أفقدها الكثير من مزاياها العلمية . .

وفى « مكتبة الأمراء » بالهند توجد مخطوطة عمرها عشرون قرنًا تصف لنا كيف يمكن صنع بطارية كهربية من مواد أولية جدًا . . وفيها وصف لعيوب البطاريات المعدنية ، ومزايا استخدام بعض الأحجار . .

وقد رأيت أنا فى متحف ترافندروم بولاية كيرالا فى جنوب الهند مصباحًا ذهبيًا كبيرًا . . هذا المصباح قد انطفأ أخيرًا . . ولكن الأثريين يؤكدون أنه لسبب غير معروف ، قد ظل مضيئًا خمسة عشر قرنًا . ويقولون فى تفسير ذلك : لابد أنهم أودعوا فى داخله مادة مشعة ، أو أن الذهب يضىء بملامسة الهواء ، أو أنه يضاء من مكان بعيد لاسلكيًا ! !

ولكنه هو شخصيًا حاول دون أن يكون على يقين من أى شىء . كيف فعلوا ذلك ؟ ومن أخبرهم ؟ ومن علمهم ؟

وفى أحد المخطوطات القديمة فى « مكتبة الأمراء » هذه القصة : . . ولما قرر الملك أن يزور إحدى القرى النائية ، كان الرهبان قد تجمعوا فى حالة من الغضب لأن الملك قد نزع منهم أملاكهم ومنع عنهم أقواتهم وهددهم بالطرد ، فرفضوا مقابلته . . ولكنهم عادوا فوافقوا . . وبدأ الموكب الملكى ليلاً ، وفجأة أضيئت الأشجار على طول الطريق مرة واحدة . . فقد كان فى كل شجرة كرة صغيرة من الحجر أو من الزجاج الشفاف . . أضيئت هذه الكرات فى وقت واحد ، فوقف الملك مذعورًا . وانكشف عدد الجنود والفيلة التى معه ، وشعر الملك بالخجل . فقد كان وعدهم بأن يكون وحده . وسار الملك على قدميه ،

وازدادت المصابيح قوة . وفى نهاية الطريق وجد الملك نفسه أمام الرهبان ، فأدخلوه معبدًا ، فظن أن الأرض قد أضيئت أيضًا . . إلى آخر القصة الطويلة ! . .

إن المؤلف الأسترالى « بون إدرس » قد وصف فى رحلاته التى صدرت سنة ١٩٧١ بعنوان « ضيف على أسرة مون » أن هؤلاء البدائيين فى إريان الغربية يرفعون عصا خيزران إلى أعلى فلا تكاد تلامس الهواء حتى تضىء كرة من الحجارة فى أعلاها ، ولاحظ أن كل هذه القبائل تعتمد على هذا النوع من الإضاءة . ولما حاول أن يعرف كيف تضىء ، لم يهتد إلى شىء . وإنما كل الذى عرفه أن هذه الحجارة ينحتونها من الصخور ويعالجونها بالزيت والنبيذ وعسل النحل ودم الخنازير ثم يطمرونها فى الأرض ويستخرجونها فى ضوء القمر. ثم يركبونها فى طرف العصا ، فلا تكاد تلامس الهواء حتى تضيء إلى غير نهاية ! .

كيف حدث ذلك فى كل العصور القديمة والحديثة ؟ .

إن الشاعر الروسى فاليرى يرموسوف يجيب عن ذلك بقوله : إنهم الشعراء والحكماء وحراس الحكمة الخفية ، إنهم يحملون المشاعل المتقدة إلى الأبد ويواروتها الصحارى والكهوف .

فصل آخر أعجب من ذلك قد كتبه المؤلف الأمريكى أندرو توماس عن كيف استطاع بعض الناس أن يرتفعوا عن سطح الأرض مترًا أو مترين أو عشرين مترًا دون مساعدة من أحد . . إننا فى العصر الحديث نرى الرجال يطيرون فى داخل سفن الفضاء ، عندما تمر بهم السفينة فى منطقة انعدام الوزن . . فهم يطيرون مع الملاعق والأكواب . . ولو سقطت دموعهم لتعلقت فى الفضاء . . ولذلك لا يشربون وإنما يمتصون الطعام فى أنابيب تشبه أنابيب

معجون الأسنان . كل هذا رأيناه وعرفناه ولم يعد يدهشنا . ولكن كيف نفسر حدوث ذلك من ألوف السنين ؟ وكيف يحدث ذلك على سطح الأرض . . كيف يمكن إلغاء الجاذبية الأرضية ؟

إن المؤرخين العرب هم أول من قال إن الفراعنة قد بنوا الأهرام عن طريق إلغاء الجاذبية الأرضية فالمؤرخون العرب هم الذين قالوا إن الفراعنة كانوا يرفعون الأحجار فى الهواء بإشارة من أحد الكهنة ثم ينزلون الحجر الواحد وراء الواحد . . مليون حجر وراء مليون حجر دون أن يصاب واحد بخدش . . فقد كان الكاهن الفرعونى يمسك عصا طويلة ، ويشير إلى الحجر فيرتفع ويشير إليه أن يهبط ويجىء العمال فيلمسونه لمسًا ليستقر فى مكانه !

وقد جاء عالم أمريكى إلى مصر وأقام حول الهرم ستة أشهر . . ورأى بنفسه والتقط صورًا لألوف الأحجار ، فلم يلاحظ أن واحدًا منها قد انخدش تحت ضغطه الثقيل . . كيف ؟

وفى التوراة بعد ذلك أن مدينة أريحا قد بنيت بالموجات الصوتية . . فنحن فى العصر الحديث نستخدم الموجات فوق الصوتية فى نحت الصخور وقطع الأخشاب . . وكذلك كان عمال مدينة أريحا ، فقد كان المطلوب منهم أن يرتلوا نشيدًا واحدًا فى وقت واحد ، ويجىء أحد الرهبان ويصرخ صرخة واحدة . فإذا الأحجار تقفز الواحد وراء الآخر !

والمؤرخ لوسيان يروى لنا أن تمثال الإله أبولو فى سوريا كان يرتفع ع الأرض وحده ، ثم يعود إلى موضعه .

والفيلسوف يامبليخوس فى القرن الرابع الميلادى كان هو نفسه يرتفع ع الأرض مترًا ومترين ، والناس يمشون من تحته ثم يعود إلى مكانه . ويلا- الناس أنه كان يذوب عرقًا .

وفى الريف المصرى يتحدث الناس عن الموتى كيف يطيرون ، ، وكيف أن النعش يجرى بهم ، وكيف أنهم يتعلقون بالنعش ، وكيف أنهم فى أحيان كثيرة يجدون الميت قد ثقل عليهم تمامًا وأنه لا يريد أن يتحرك . . وخصوصًا إذا اقترب من القبر .

لماذا ؟ . .

وفى سنة ١٥١٥ بعث الأب ألفاريز سفير البرتغال فى الحبشة تقريرًا إلى الملك يقول فيه : ولما زرت ذلك الدير أعلى جبل بيجان وجدت عمودًا من الذهب معلقًا فى الهواء على ارتفاع مترين من الأرض ولمست العمود وحركته وسحبته ناحيتى ولكنه ارتد بعيدًا عنى وظل معلقًا فى الهواء . . وكان الناس يحجون إلى هذا المكان . . وظللت أسأل الرهبان عن سر ذلك . ولكن أحدًا منهم لم يطلعنى على شىء .

وفى نهاية القرن الثامن عشر جاء إلى القاهرة جراح فرنسى اسمه د. بونيميه يقول فى مذكراته : وفى إحدى القرى قدمونى إلى رجل طيب اسمه الشيخ محمد عبد العال ، نحيف شاحب الوجه خفيض الصوت . ظننت أول الأمر أنه مريض ، ولكنهم أكدوا لى أنه صائم الدهر ، أى لا يأكل إلا القليل جدًا . هذا الرجل كان يمسك عصاه ويلقى بها فى الهواء فتظل معلقة والناس من حوله يضحكون أو يهللون أو يصلون على النبى . . ثم يلقى بالأطباق والملاعق والأحذية فتقف كلها إلى جوار العصا . هذا رأيته بعينى ، وحاولت أن أفهم ، ولم أفلح . ولا أزال عاجزًا عن الفهم !

وفى سنة ١٩٥١ أصدر المستشار الإنجليزى لحكومة نيبال واسمه د. سميتس مذكراته . وفيها رأى واحدا يصاب برعشة وعرق ثم يرتفع فى الهواء بهدوء شديد ، ويظل كذلك إلى أن يطلب إليه الناس أن يعود إلى الأرض ، إشفاقًا عليه لأنه يصاب بما يشبه الحمى !

وفى المكسيك يوجد رجل جزار وزنه حوالى مائة كيلو جرام . . أحيانًا يخف وزنه وأحيانًا يثقل وزنه حسب رغبته . فإذا خف وزنه استطاع الناس أن يرفعوه بمجرد أن يلمسوه بأصابعهم . وإذا ثقل وزنه لم يستطع عشرون رجلاً أن يرفعوه عن الأرض . كيف ؟ إنه نفسه لا يعرف ، ولما سئل قال : إننى أصدر أمرًا إلى جسمى أن يكون خفيفًا وأن يكون ثقيلاً ، وبعد ذلك لا أعرف من الذى ينفذ هذا الأمر ! .

وفى قرية شيفابور بالهند الغربية مسجد اسمه «مسجد قمر على درويش» . أمام هذا المسجد توجد كرة من الجرانيت وزنها خمسون كيلو جرامًا ، يمكن رفعها إلى الهواء فى لحظة واحدة . إذا اقترب منها أحد عشر شخصًا ، ووضع كل واحد منهم إصبعًا واحدة ملامسًا لها بسرعة ، ترتفع إلى الهواء . وإذا كانوا عشرة فإنها لا ترتفع . وكل ما هو مطلوب من هؤلاء الناس هو أن يرددوا هذه العبارة : يا بركة قمر على درويش!

أما الكاتب الأمريكى الكبير إبتون سنكلر فيقول فى مذكراته : لم يكن فى نيتى مطلقًا أن أروى هذه الحادثة حتى لا يتهمنى أحد بالجنون أو بالتخريف . ولكن مادام كل شىء قد حدث أمام عدد من الأدباء والعلماء ، فلم يعد هناك شىء أخفيه ، ولا خوف من الناس أن يتهمونى بشىء . . فقد جاءوا إليه بواحد من الهنود الحمر ، وأجلسوه على مقعده ، وأمامه مائدة طعام . . فارتفع الرجل بالمقعد والمائدة والطعام . وظل يأكل ويشرب فوق رءوس الأشهاد ! .

وفى قصص الأولياء المسلمين والقديسين المسيحيين مئات القصص والنوادر . ولكن أحدًا لا يأخذها على أنها ظواهر تستحق الدراسة ، وإنما على أنها خوارق أو خرافات . ولكن العلم يجب ألا يسخر من شىء وإنما يجب أن

يقترب ويلمس ويفهم ويدلنا على الحقيقة . . فالحقيقة تشبه النهر يضيق ويتسع ويلف حول الصخور ويختفى تحت الأرض . . ثم يعود يظهر مرة أخرى . .

وفى مذكرات « ليو ـ إن » الفيلسوف الصينى من ألفى سنة ، أنه كان يصنع لنفسه نوعًا من العصير ، وهذا العصير كان يضعه فى إناء واسع . وكان يضع فيه أصبعه ثم يلعقه . فإذا فعل ذلك طار فى الهواء .

وجاءت الكلاب والقطط والديوك تشرب العصير ، فإذا هى أيضًا تطير ، ويفاجأ الناس بنباح الكلاب ومواء القطط وصياح الديوك فى سماء المدينة .

يقول « ليو ـ إن » : وكان الملك مريضًا ، فلما رأى ذلك شفى من مرضه . . ولما مرضت الملكة ، وأحست باقتراب الموت طلبت أن ترانى لآخر مرة . فأخذتها فى يدى وأخفيتها فى السماء . . ونزلت وحدى إلى الأرض !

ومن الملاحظات الغريبة التى أشار إليها الكاتب الكبير أندرو توماس أن بعض المخطوطات الفرعونية ومخطوطات التبت تصف لنا بعض الطرق الجبلية والصحراوية التى ترتفع فيها العربات من تلقاء نفسها إلى أعلى . .

يحدث الشىء نفسه فى شارع صلاح سالم بالقاهرة ، وفى شارع بهلوى فى طهران . وفى كندا عند جبل المغنطيس ترتفع السيارات إلى أعلى المنحدرات دون أن يدفعها أحد ! ويرتفع الماء إلى أعلى أيضًا .

أما الفيلسوف العظيم أفلاطون فقد روى لنا أنه رأى بعض التماثيل ترتفع فى الهواء وحدها . وانشغل الفيلسوف بقضايا إنسانية كثيرة عن دراسة هذه الظاهرة الغريبة . وإن كان قد حاول أن يفهم من بعض الكهنة ، الذين هم حراس الحكمة القديمة ، فأخبروه أنها قصة طويلة ! .

والفيلسوف أفلاطون أيضًا هو الذى تحدث قبل ذلك عن قارة «أطلانطس» الغارقة ، وأن الفراعنة هم أول من عرف ذلك أيضًا وأذاعوه فى العصور القديمة . . وقد رأى فى معبد طيبة أن التماثيل ترتفع فى الهواء إذا شاء لها الكهنة ذلك . . وكل ما فعله أفلاطون هو أنه هز رأسه يمينًا وشمالاً وهو يقول : يفعلونها (المصريون قادرون على أن يفعلوها) .

وإلى جانب هذه الظواهر الخارقة : وهذا العلم القديم ، هناك فلسفات اجتماعية ، ونظريات متطورة جدًا لإصلاح حياة الناس وتخصيب التربة وتهجين الحيوانات والنباتات ، قد ظهرت من ألوف السنين قبل أن نعرف كلمة الاشتراكية الشيوعية أو التحكم العلمى فى البذور أو حتى « السبرنطيقا) عند قبائل الأنكاس المتفرقة ـ كما سنرى !

هـؤلاء الثلاثة
يعرفون كل شيء

ما معنى أن تجد فى إحدى القرى النائية رجلاً كبيراً فى السن لا يقرأ ولا يكتب ، ولكن إذا سألته : كم المسافة بين الأرض والقمر ؟ قال لك بالضبط . . ثم كم عدد الكريات الحمراء فى الجسم الإنسانى ؟ أجاب بالضبط . . ومتى كان طوفان نوح ؟ قال لقد كان هناك أكثر من طوفان . . ثم راح يذكر لك أين كان الأول والثانى والعاشر . . ثم أخذ يحدثك عن حيوانات تتحول إلى بشر . . وعن بشر يصبحون طيوراً إذا أرادوا . . وعن أناس جاءوا من فوق ونزلوا تحت الماء ، ثم ارتفعوا إلى كواكب أخرى ، وعادوا ليقولوا للناس ماذا جرى لهم وجرى عليهم . .

تصور أن هذا قد حدث ، فما الذى تقوله عن هذا الرجل الأمى المنعزل تماماً عن كل العالم الذى حوله ؟! . .

أليس الشىء المعقول هو أن نفترض أن هذا الرجل قد سمعها . . أو سمعها من أناس قرءوها ؟ وأن هذه المعلومات الدقيقة قد بقيت هكذا مصونة بين الناس ، وأن مصدر هذه المعلومات ليس من الأرض وإنما من السماء ، أو من أناس جاءوا واختفوا ؟ وحتى إذا لم تعرف المصدر الأكيد لهذه المعلومات المؤكدة ، ألا تجد فى ذلك شيئاً غريباً عجيباً ؟

ماذا نقول عن جماعة « الأنكاس » فى أمريكا . . إنهم أبناء حضارة قديمة ، ربما كانت أقرب الحضارات جميعًا . . فهى حضارة بلا لغة مكتوبة . وكل ما تركته هذه الحضارة هى أعمال هندسية وأبنية شامخة ومعلومات فلكية دقيقة جدًا ، وصور على الجدران تؤكد أنهم من أصول غير إنسانية . . أو غير أرضية . .

هؤلاء الأنكاس عرفوا الاشتراكية العلمية قبل أن نعرفها بمئات السنين . . فمن المعلومات البسيطة فى تاريخ الاشتراكية ، أنها مرت بمراحل :

كان كل الناس يملكون كل شىء ، أى يملكون الغابات والثمار والأرض والماء والبيوت . . وبعد ذلك كان بعض الناس يملكون كل شىء ، ثم الدولة تملك كل شىء من أجل كل الناس ، أو حماية الناس من الناس . . وهؤلاء الأنكاس كانوا اشتراكيين . . فقد كان عندهم الكثير من الذهب ، ولكن ليست عندهم عملات لا فضية ولا ورقية . . وكان الكل يعمل ، ولكن لا توجد أجور . وإنما العامل يتقاضى ما يستحقه طعامًا وشرابًا ومسكنًا . .

ولا يوجد بين الأنكاس رجل أعزب ولا فتاة عانس . فالزواج علاقة ضرورية .

أما تحديد النسل أو تنظيمه فقد استطاعوا ذلك بصورة لم نعرفها نحن حتى الآن . فقد عثر أحد الأثريين الأسبان على نقش قديم يقول : واتفق الزوجان على أن تظل هذه العلاقة عشرين عامًا فقط . وينجبان فيها ثلاثة من الذكور واثنتين من الإناث . .

وعثر أيضًا أحد الأثريين على خطاب من أم لابنتها تعتب عليها أنها لم برأيها .

تقول الأم : . . وكنت نصحتك أن تتزوجيه بشرط أن تنجبي أربعة من الذكور في عشرين عامًا . ولكنك اتفقت مع زوجك من وراء ظهري وأمام شهود آخرين أن يكون لكما من الأولاد ستة ذكور وثلاث إناث . . واليوم لا تكفين عن الشكوى من كثرة الأطفال !

شيء غريب . كيف يكون في وثيقة الزواج ، أو في الاتفاق الشفوي على الزواج ، النص على عشرين عامًا ، وبعدها ينفصل الزوجان ؟ وكيف يحددون عدد الذكور وعدد الإناث منذ البداية . . وكيف يجيء الأولاد « حسب الطلب» ؟ إننا لا نعرف حتى الآن . .

يروى لنا المؤرخ الأسباني لويس أرتتجاس من القرن السادس عشر أنه رأى واحدًا من أبناء الأنكاس قد ترك عصاه وحذاءه أمام بيته . . وكان الباب مفتوحًا . وقيل له إن هذا الرجل يملك عشرين ألف قطعة ذهبية . ولكن أحدًا لا يفكر في دخول هذا البيت مادام الرجل قد ترك الحذاء والعصا . .

فقد كان الأنكاس حريصين على الذهب ولكنهم لم يفكروا في أن تكون لهم عملات ذهبية أو فضية أو من ورق . فلم يكن أحد في حاجة إلى أن يشترى شيئًا . وإنما يذهب الناس عادة إلى السوق ويأخذ كل واحد ما يحتاج إليه ويمضي إلى بيته ، دون أن يسأله أحد عن عدد أولاده أو يشك أحد في أنه قد أخذ أكثر مما يحتاج إليه . .

واستطاع هؤلاء الأنكاس أن يشيدوا ويرصفوا أطول طرق عرفها الإنسان في التاريخ . . عبر الوديان والبحيرات والجبال . . فهناك الطريق الشهير بين كولومبيا وشيلي ، طوله ٥٢٣٠ كيلو مترًا . . هذا الطريق لا يزال صالحًا لكل أنواع السيارات . وهذا الطريق يعتبر بكل الموازين والمقاييس من أعظم الأعمال الهندسية في تاريخ الحضارات القديمة . كيف حدث ذلك ؟

ثم إن الأنكاس هؤلاء قد أقاموا أبنية استخدموا فيها الأحجار التى تزن عشرين طنًا . لم يفقهم فى ذلك إلا الفراعنة . ومن الغريب أن هذه الأحجار التى أقامها الأنكاس كانت متلاصقة ومحكمة لدرجة أننا لا نستطيع أن ندخل بينها أمواس الحلاقة .

وفى سنة ١٩٥٠ عندما ثار البركان فى مدينة كوشو تهدمت كل الأبنية الحديثة كلها إلا ما أقامه الأنكاس ، فإن واحدًا منها لم يسقط ، لا الكبارى ولا الطرقات ، رغم أن مركز الزلزال كان قريبًا منها ، ولكنها بقيت كأنما أعدوها لهذا اليوم .

. . بل الرسائل لم يعرفوها . وإنما كان الواحد منهم يمسك خيطًا طويلاً . ولا يزال يصنع عددًا من العقد وهذه العقد هى الكلمات . . أما كيف ينقلون هذه الرسالة آلوف الكيلو مترات فكانوا يستخدمون النار والدخان . . فكان الواحد منهم يقف وفى يده شعلة ويحركها يمينًا وشمالاً . ويرى واحد آخر على مسافة بعيدة يفعل الشىء نفسه وينقلها إلى واحد ثالث . . حتى تصل الرسالة إلى صاحبها . . وكانت هذه الرسائل تصل فى ساعات قليلة . . بينما تصل الآن ـ بالبرقيات والطائرات فى أيام أو لا تصل !

وقد تعب العلماء والأثريون فى معرفة هؤلاء الناس ومخلفاتهم الغريبة العجيبة . وتعبوا فى معرفة العلاقة بينهم وبين جماعات أخرى منعزلة ولا ترابط بينها جميعًا ، فى أواسط أستراليا أو فى جواتيمالا أو فى التبت أو فى مصر الفرعونية أو الجزر الغارقة فى المحيط الأطلسى أو المحيط الهادى أو البحر الأبيض أو جنوب ليبيا وتونس .

ولكن حدث شىء هام فى سنة ١٩٥٢ . . فقد ذهب عالم بريطانى كبير لفحص خمس مومياوات موجودة فى المتحف البريطانى . والذى شغله تمامًا

هو أن يعرف فصيلة دم هؤلاء الموتى ، وكانت أكبر مفاجأة فى تاريخ الطب الحديث . لقد وجد أن فصيلة دم المومياء الرابعة والثانية لا نظير لها بين البشر . فلا توجد هذه النسب مطلقًا من فصيلة ج و هـ. إن هذه التركيبة الدموية غير معروفة عندنا مطلقًا . وهذه هى فصائل دم أبناء الأنكاس القدماء !! . .

ولولا أن هذا الطبيب البريطانى قد سجل هذا الاكتشاف الخطير لظل لغزًا حتى اليوم . . فقد جاءت الأمطار وتسربت من سقف المتحف البريطانى وأذابت كل الجثث . . فهم ـ إذن ـ طراز غير مألوف وغير معروف بين أهل الأرض . وقبل أن نصل نحن إلى هذه النتيجة فقد سبقونا هم إليها وأكدوا لنا أنهم ليسوا من هذه الأرض ، ولا من هذا الكوكب . وأنهم سلالة كائنات أخرى . . وأكبر دليل على ذلك ما لديهم من علم تجهله كل الشعوب المجاورة لهم . . ثم فصائل دمهم ! . .

وكان ـ ولا يزال ـ حلم الإنسانية كلها أن يتحقق العدل بين الناس ، وألا يملك القليلون الكثير ، وألا يملك الكثيرون القليل . . وألا تكون هناك هذه المسافة الهائلة بين الذى فى يدك وبين الذى فى أيدى الآخرين . . وألا يكون الجوع هو الحاكم المطلق فلا يكون بين الناس إلا الحقد الذى يؤدى إلى القتل ، إلى الحرب إلى دمار الحضارة الإنسانية . .

وقد رأينا صورًا لذلك فى جماعات منعزلة ، وقرأنا عن ذلك فى القارات الغارقة . واحتفظت لنا الكتب القديمة والأساطير بصدى هذه « المدن الفاضلة » أو هذه « الجمهوريات السعيدة » . .

وحدثنا الشاعر الأعمى هوميروس والفيلسوف أفلاطون وحدثنا هوراس وتوماس مور والفارابى . . كلهم وصفوا بلادًا يسودها العدل ، وإن لم يكن لها

وجود . . وإنما يتمنون أن يكون لها . . ولكن مفاجأة أخرى تنتظر الباحثين فى قضية الحضارات الإنسانية وغيرها . . حضارة سكان هذا الكوكب وأبناء الكواكب الأخرى . .

فقد رأى عدد من الناس أماكن عجيبة على هذه الأرض . ذهبوا إليها وعاشوا فيها . ثم عادوا يكتبون عن قمة التطور العلمى والاجتماعى فى هذه الأماكن من الأرض . أختار من بينهم ثلاثة حتى لا يطول الكلام إلى غير نهاية .

أحدهم رجل ذهب إلى بلاد بابل . وأوقفه الحراس عند أبواب المدينة . سألوه : ماذا تريد ؟

ـ أريد الملك

ـ هل عندك شىء تقدمه له ؟

ـ نعم . .

ـ ماذا ؟

ـ فضائلى . .

ـ وهل تظن أن الملك فى حاجة إلى فضائلك ؟

ـ ليس فى حاجة إلى الفضيلة . ولكن قد تكون لديه الفضيلة ولكنه لا يعرف كيف يطبقها . .

ـ قليل الأدب . . سافل . . إلخ .

ثم سمحوا لهذا الفيلسوف ابولونيوس أن يقابل الملك ، فقد يجد عنده شيئاً يسليه خصوصاً أن الملك كان عنده هموم فى تلك الأيام .

ويقال إن الملك قد احتفظ به أيامًا لا يأكلان ولا يشربان . . لقد بهر الملك بما عنده من علم . . كان ذلك بعد ميلاد المسيح بعشرين عامًا . وكانت لهذا الفيلسوف اليونانى عادات غريبة . كان يوقف الناس فى الطريق ويقول للواحد منهم : كيف تترك طفلك يغرق فى البحر وأنت هنا تلهو وتلعب ؟

ويتحقق الناس من أن الطفل قد غرق فى اللحظة نفسها .

حدث عندما كان فى مدينة أفسوس بتركيا القديمة أن وقف فى السوق يصرخ ويقول : اضربوه . . اضربوه . . هذه الضربة أصابته . . الدماء تنزف . إن هذا الملك ظالم . إنه يستحق كل هذا العذاب .

ويثبت التاريخ أن الملك الذى يتحدث عنه كان على مدى ألوف الأميال فى روما ، وأن الملك دومسيان قد ضربوه وأصابوه وأغرقوه فى دمه فى اللحظة نفسها . .

ذهب هذا الرجل أبولونيوس إلى الهملايا . . ثم إلى التبت . ويصف هو هذه الرحلة فيقول : ركبنا البغال . وفجأة تغيرت ملامح الطريق . . أصبح لامعًا مضيئًا مرصوفًا . . تغيرت البغال من تحتنا . . ودخلنا أحد القصور . اقتربت الموائد من تلقاء نفسها . جاء أناس من حديد أو من معدن لامع يقدمون الطعام . ويأتون بما نريد دون أن نطلب إليهم ذلك . . وقال أبولونيوس أيضًا : إنهم يمشون فوق سطح الأرض . . إنهم على الأرض وليسوا على الأرض . .

وقال له الملك : هذه البلاد العجيبة تشهد أن الكون كله كائن حى . فكل شىء ينبض فى كل مكان . .

ولما عاد أبولونيوس إلى روما يروى لهم ما حدث ، أفزع الناس وأرهبهم،

ويخاف الحكام . وفى يوم قال له الإمبراطور فسبازيان : أنا استوليت على مدينة القدس وأنت استوليت على حياتى !

وعندما قدموه للمحاكمة بتهمة تخويف الناس ، أدانته المحكمة وقررت إعدامه ، فوقف أمام القاضى يقول : فى استطاعتك أن تشنق جسدى ، ولكن روحى سوف تنطلق . . وحتى جسدى لا تستطيع أن تفعل به شيئًا .

وفى لحظة اختفى أبولونيوس ، تلاحقه صرخات الناس وسقوطهم على الأرض !

أما الرجل الثانى ، فيقول إنه ولد فى سنة ١٧٨٤ ، ويقال إنه مات سنة ١٧٩٤ ، ويقال إنه لم يولد . . . ويقال إنه عاش منذ ألفى سنة ، ويقال إنه عاش فى بلاد كثيرة فى وقت واحد . هذا الرجل العالم الفرنسى الكونت سان جرمان . وصفه أهل زمانه بأنه الرجل الذى يعرف كل شىء .

قال عنه الفيلسوف الفرنسى فولتير : هذا الرجل يعرف كل شىء عن أى شىء . إن الإنسان فى حاجة إلى أن يكون عمره ألف سنة لكى تتجمع لديه كل هذه المعلومات ! وكان فولتير أكثر الناس علمًا وحكمة .

هذا الرجل سافر إلى كل الدول الأوروبية وأذهل الجميع وقدموه للملك لويس الخامس عشر قائلين : يطول عمرك إذا استطعت أن تقوم بتسلية الملك .

واجتمع الرجل بالملك وبعشيقته مدام بومبادور . وقال لها : أنت يا سيدتى تريدين منى شيئًا . . وأنت أيضًا يا سيدى . فقال الملك : لا أريد شيئًا .

وقال الكونت : أنت ككل الرجال تريد ذهبًا . . وأنت تريدين شبابًا . .

أنت تريد القوة عن طريق المال ، بعد أن أصبحت لك القوة عن طريق التاج . وأنت تريدين كل الرجال بعد أن أخذت قلب الملك . . أنت تريدين الشباب الأبدى . . وأنتما تناقشتما فى ذلك أمس فى غرفة واحدة وتحت غطاء واحد سقط عنكما ، واختلفتما من الذى يأتى بالغطاء !

ونظر الملك إلى العشيقة . ثم قال : حدث هذا أمس ! . .

ولم يتأثر الملك كثيرًا بما قاله الكونت ، ولكن الملك نظر إلى أصابع الكونت وإلى صدره فوجد قطعًا من الماس أكبر مما عنده هو . . فمد الكونت يده إلى جيبه وألقى بعشرات من قطع الماس على منضدة ، وقال : يا صاحب الجلالة هذه كلها لك . . وسوف أصنع لك غيرها غدًا ! .

وخرج ولم ير الملك ولا أحد فى قصره أو عصره قطعًا من الماس فى هذا الصفاء والنقاء والفخر والفخامة !

وكانت لدى الملك ماسة معروقة ـ أى فيها عروق ـ وهذه العروق تعيبها . . فأعطاها للكونت يتحداه إن استطاع تخليصها من هذه العروق . وفى اليوم التالى أعادها إليه الكونت صافية تمامًا .

وكان سان جرمان هذا كاتبًا وفيلسوفًا وشاعرًا وطبيبًا وعالمًا بالكيمياء وتحويل المواد بعضها إلى بعض . . وفى مذكراته كتب يقول : قابلتهم بالقرب من باريس . . تفاهمنا بسرعة . . أذابونى . . بددونى . . حملونى لا أعرف كيف . ووجدت نفسى أنظر إلى الأرض من فوق . . رأيت البيوت صغيرة والأنهار شعيرات لامعة . . والجبال أحجارًا صغيرة . . ورأيت الأهرامات متوهجة . . وتنقلت بين كواكب أخرى . . ولا أعرف كيف حدث ذلك . . ونظرت حولى فوجدت أناسًا لا يتكلمون كثيرًا ، وإنما يتفاهمون ببريق

العيون . . ثم أنزلونى إلى الأرض على مسافة ألف ميل من باريس . ورآنى الناس وعرفونى . . ولما عدت إلى باريس تأكد الناس أننى مسافر إلى باريس منذ أسبوعين . . إلخ . .

ومغامرات أخرى رواها سان جرمان عن رحلات بين الكواكب .

وفى جلسة فاصلة فى القصر الملكى جلست مدام بومبادور ووصيفاتها والملك وحاشيته وقالوا : نسألك سؤالاً واحدًا وبعده نعرف إن كنت نصابًا أو إنسانًا خارقًا .

فأجاب : بل أى سؤال آخر غير الذى تريدون أن توجهوه لى . . لأننى أعرف السؤال . .

قالوا : ما هو السؤال ؟

قال : تريدون أن تسألون ما هى العبارة المكتوبة على ورقة فى حذاء الملك . . أعرف العبارة وأخرج من هذه الغرفة فورًا ! .

وذهل الجميع . فقد كان الملك قد أخفى ورقة فى حذائه وفيها هذه العبارة : أنت رجل نصاب . واعترضت مدام بومبادور وقالت : هذا سؤال الملك . . بقى سؤالى أنا . . هل تعرفه .

قال : أعرفه . لكن أحب أن أسمعه منك . .

قالت : إذا كنت تعرفه فأعلنه أمام الجميع .

قال : تريدين أن تسألينى إن كنت قد رأيت تلك البلاد التى يسودها العدل والرخاء فى الهند . .

قالت : بالضبط . ماذا رأيت ؟

قال : إنها بلاد العدل والسلام والعلم الذى لم نبلغه بعد . رأيتها وسوف أذهب إليها لأعيش ما تبقى لى من العمر .

قالت : كم عمرك الآن ؟

قال : تسعون عامًا فى هذه البلاد . . ومئات الأعوام فى بلاد أخرى . . وتلاشى الرجل ولم يعد أحد يراه !

أما الثالث فهو الرسام الروسى السويدى الأصل نكولاوس روريش الذى توفى سنة ١٩٤٧ . وكان من أعظم الرسامين ، فله متحف خاص يضم ألف لوحة فى مدينة نيويورك . هذا الرجل عجيب . . فقد كانت كل لوحة نبوءة . فقبل الحرب العالمية الأولى رسم لوحة فيها سيف يطيح بثلاثة تيجان . وسقطت ثلاثة عروش . . وهو الذى رسم لوحة لألمانيا يحكمها ساحر ويدفعها إلى الحرب والدمار . وظهر هتلر بعد ذلك بسنوات . .

وهو الذى رسم لوحة لزوجته وهى تسقط من الدرج فتنكسر ساقها . ثم أخفى اللوحة عنها . وبعدها بأيام انكسرت ساقها .

ولما سئل روريش : كيف يحدث ذلك ؟

قال : أنا أضع الفرشاة على الورق . . وتتولانى قوة غريبة فترسم . وتكون النتيجة مخيفة . . هذا الرجل سافر إلى بلاد الهند ومات فيها . . وكانت له رحلة غريبة وراء الهملايا إلى صحراء جوبى . وسجلها فى كتابه « أسطورة الصخور » . يقول إنه ركب فيلاً ، وحمل أمامه الصندوق ، وفى الصندوق ذلك الحجر السحرى . . له لون أسود وأحمر معًا (إنه يشبه الحجرالأسود فى الكعبة) ، فهو أيضًا قد نزل من كوكب آخر ، وفى مهمة خاصة . فهذا الحجر قد تركزت فيه قدرات غريبة تؤثر على المخ وتؤثر على المعادن . ثم إنه يخضع

لقوى عجيبة بعيدة عن الأرض تؤثر فيه وتنعكس هذه القوى على من يحمله . ويقول إنه ذهب يعيده إلى أصحابه . وأصحابه هم جماعة « حراس المعرفة الإنسانية » .

وتقول زوجته فى مذكراتها هى أيضًا : ذهبنا معًا . وتغيرت الأرض تحت أقدامنا فجأة ، واختفى العالم الذى نعرفه من ورائنا . وأخذوا منى الصندوق وقطعة الحجر ، واختفى هناك . ثم أعادونا . .

وتقول : ومثلنا كثيرون نتعارف فى صمت ، ولا نقول شيئًا . وحتى إذا حاولنا أن نقول فإن شيئًا فى داخلنا يخيفنا ، كأننا آلات تتحكم فيها عقول عالية عن الأرض !

وبعد ذلك سأعود إلى ما بدأت به لأقفل هذه الدائرة الغريبة العجيبة من أسرار الإنسان على هذا الكوكب ، وآخرين على كواكب أخرى . . أعود إلى ما جاء فى الصفحات الأخيرة من كتاب العالم الأثرى د. أحمد فخرى عن «الأهرام» كما سنرى ! .

ما الذى قالته التماثيل للإسكندر الأكبر

عالم أمريكى فى القطب الشمالى ، معه كتاب غريب لا علاقة له بكل الجبال الجليدية التى حوله ، ولا بأبناء الإسكيمو ولا الكلاب التى تجر العربات . . ولكن هذا الرجل يرى أن هذا الكتاب علاقة بكل شىء . وعلى غلاف الكتاب صورة لهرم الملك خوفو . . وفجأة فى أحد أيام سنة ١٩٦٤ سقط الكتاب من يد الرجل وهو يسأل نفسه : لماذا توجد غرف دفن فى هرم الملك سنفرو فى دهشور، وتوجد غرف دفن أيضًا فى الهرم الذى بناه خوفو ابن الملك سنفرو . . بينما نجد هرم الملك خفرع ابن الملك خوفو بلا غرف دفن ؟ . لماذا ؟ لابد أن هناك سرًا . ولابد أن يبحث هو عن طريقة لمعرفة هذا السر . . بل هناك سؤال أهم من هذا كله : ولماذا الأهرامات ؟ ولماذا هذه الدقة الشديدة؟ وكيف عرفوا الهيئة الفلكية ؟ وكيف تطايرت فى أيديهم الأحجار الضخمة بلا سبب معروف ؟ وكيف أن لديهم فى معابد طيبة تماثيل حجرية إذا اقترب منها الإنسان اقتربت منه ؟ وإذا تحدث إليها نطقت أيضًا ؟ إن الإسكندر الأكبر قد روى ذلك عندما ذهب إلى معبد طيبة وقالت له «التماثيل» : أنت ملك الملوك . . ولكننا أكبر منك . .

وانحنى الإسكندر الأكبر واستراح إلى هذه الحقيقة . ولكن هذه الحقيقة

هى مصدر حيرة لكل العلماء ، ولهذا العالم الأمريكى الذى كان يقرأ عن أهرامات مصر وهو فى القطب الشمالى . . إنه العالم الكبير لويس ألفاريز أستاذ الفيزياء بمعهد لورانس الإشعاعى بكاليفورنيا والحائز على جائزة نوبل . . وقيل لهذا العالم الكبير ، كما يروى لنا العالم الأثرى د. أحمد فخرى فى الصفحات الأخيرة من كتابه عن « الأهرام » المطبوع فى شيكاغو : لابد أن المهندسين الفراعنة قد غيروا تصميم هرم خفرع . . هذا كل ما كان هناك .

ولكن ألفاريز لم يقبل هذا التفسير . . وجاء إلى مصر سنة ١٩٦٦ ومعه أجهزة إلكترونية تسجل اختراق الأشعة الكونية لأحجار هرم خفرع . ولكن عندما بدأ يسجل هذه الأشعة نشبت حرب ١٩٦٧ ، وتوقف العمل ، ثم عاد فى مارس سنة ١٩٦٨ . ومن الحقائق المعروفة أن الإشعاع يستغرق واحدا على ألف مليون من الثانية لكى يخترق الصخور . . فإذا كانت فى داخل الهرم غرف أو ممرات كانت الأشعة أسرع من ذلك .

وحدث خلل ما ، ضاعف حيرة العالم فعاد إلى أمريكا يتهم نفسه وعلمه . إن اضطراب مسار الأشعة شىء غير طبيعى أو غير منطقى . وإن مجرد ذكر هذه الواقعة يعتبر أكبر نكتة ونكبة علمية فى كل العصور . وانتهى البحث العلمى عند هذا الشىء الغريب العجيب .

كيف نفسر وجود رياضيات متطورة جدًا وأكثر دقة من علومنا الرياضية عند قبائل المايا من ألوف السنين ؟ من أين أتوا بها ؟ ومن علمهم ذلك ؟

لماذا ظل هرم خوفو أكبر وأعظم بناء هندسى حجرى فلكى سحرى فى كل العصور ؟ لماذا ورد اسم هذا الهرم فى كل القبائل البدائية التى يستحيل أن يكون بينها وبين مصر أو الجيزة أو الهرم أية صلة من أى نوع ؟

كيف تمكن أهل بابل من اختراع البطاريات الكهربائية الجافة قبل أن نعرفها نحن بأربعة آلاف سنة ؟ كيف تحدثت أساطير قديمة جدًا عن أن هناك قمرين يدوران حول كوكب المريخ ؟ كيف إذن ذلك ؟ كيف عرفوه وإن لم يروه؟

إن خطابًا تلقيته من عالم الفضاء المصري د. فاروق الباز يؤكد لى أن هناك اتجاهًا علميًا الآن يقول : إن الكواكب حولنا تخلو من الحياة ، أو تهاجر منها الحياة إلى « قلب » الكون .

ويبدو أن هذا الرأى صحيح ، فالصور التى أرسلتها سفينة الفضاء فايكنج من كوكب المريخ به نسبة ضئيلة من النتروجين التى تجعل الحياة ممكنة . ولكن لابد أنه كانت هناك حياة ولسبب ما تلاشى النتروجين من الجو فتضاءلت الحياة أو هاجر الأحياء إلى كواكب أخرى أبعد وأعمق ـ ربما !

بأى شيء نفسر أن كتب الأساطير القديمة فى الهند والتبت وبيرو والمكسيك وكتاب الموتى الفرعونى تحدثت عن كواكب أخرى وعن سفن الفضاء وعن الأطباق الطائرة . . وبهذه الدقة الغريبة ؟

وكيف أن أبناء حضارة الأنكاس فى القرن الثانى عشر تحدثوا عن تماثيل من المعادن تتحرك من تلقاء نفسها . . وليست تماثيل حجرية كالتى رآها الإسكندر الأكبر فى الصحراء الغربية ؟ ثم إن الإسكندر وصف نقوشًا على المعابد المصرية تتحرك عند الاقتراب منها ، وكيف أن هذه فيها حياة ولها ظلال وبريق ، وكأن الجدران شاشة سينما أو تليفزيون ؟

بأى شيء نفسر ما رآه الناس فى غرفة البابا سيلفتر الثانى عندما نادى تمثالاً من المعدن فتحرك ينحنى للضيوف . . إن البابا سيلفتر الثانى قد فسر ذلك

بأنه صنعه من معادن نادرة وفى إحدى الليالى القمرية . ولكن هذا التفسير لا يريحنا لأننا لم نعرف كيف استطاع ذلك ومن أين استمد هذه المعرفة المتقدمة جدًا ؟

وهذا ما فعله ألبرت الكبير فى القرن الثالث عشر ، فقد كان عنده تمثال من المعدن يرد على تساؤلات الناس !

وفى سنة ١٩٠٠ ، عثر الصيادون اليونانيون على بعض الإسفنج القديم . . وفى داخل هذا الإسفنج قطع معدنية . . عندما تم تركيبها معًا تحولت إلى ما يشبه الحاسب الإلكترونى . .

وفى سنة ١٩٥٩ ، أعلن البروفسير دريك ، عالم الفيزياء المشهور ومدير متحف العلوم فى جامعة برنستون : من المؤكد أنها صورة لعقل إلكترونى كان يعمل بمنتهى الدقة من عشرين ألف سنة ! كيف ؟

وفى محاضرة للبروفسور برايس عالم الرياضيات الأمريكى الشهير أعلن أن العثور على هذا العقل الإلكترونى فى مياه اليونان يشبه العثور على نفاثة فى تابوت الملك توت ـ عنخ آمون !

ومن عجائب المؤرخ لوسيان الذى تحدثت عنه من قبل أنه كانت لديه مرآة كبيرة . وكان إذا وضع المرآة على حافة بئر ، ونزل الناس إلى البئر ، سمعوا أصوات أناس يبعدون عنهم مسافات طويلة بوضوح شديد . . وكان لوسيان نفسه إذا نزل البئر عكست له هذه المرآة أصوات الناس وصورهم ، ويؤكد بشهادة مئات الشهود أنه يستطيع أن يشم بالدقة رائحة ما يحملون من طعام ! كيف ؟

يروى الكاتب الروسى الكبير ماكسيم جوركى هذه الواقعة : عندما كان

فى الهند تقدم منه أحد السحرة الهنود وقدم له ألبومًا من الصور . وأعجب جوركى بجمال هذه الصور وبالعبارات الشعرية المكتوبة تحتها . ثم أعاد الألبوم شاكرًا . ولكن الساحر الهندى طلب إليه أن يعيد النظر فى الألبوم فوجد الصفحات بلا صور . ووجد ترجمة روسية للعبارات التى كانت تحتها . وأدهشه ذلك ولكنه لم يجد ما يقوله . فلما سأله الرجل الهندى : ما رأيك ؟ قال : لولا أننى ملحد ولا أومن بوجود الله لقلت إنها معجزة سماوية . . أو إن هناك قدرة خارقة لا أعرفها قد صنعت ذلك كله !

كيف نفسر أن جماعة من البدائيين قد رسموا على كهوفهم أنواعًا من الحيوانات قد انقرضت قبل وجودهم بملايين السنين ؟

كيف نبرر وجود خريطة من الجو لأمريكا والقطب الشمالى قبل اختراع الطائرات والصواريخ بألفى سنة ؟

كيف نعلل وجود صورة جوية لمنطقة الجيزة على أحد المعابد الهندوكية فى ولاية كيرالا بالهند ، وترجع هذه اللوحة إلى ما قبل بناء الأهرامات كلها بألوف السنين ؟

ما الذى يمكن أن تفهمه إذا وجدنا جميع الحضارات القديمة والديانات أيضًا تتحدث عن نزول إنسان من الجنة إلى الأرض ؟ عن سقوط إنسان من السماء ؟ .

ما الذى يمكن أن نفهمه إذا تحدثت جميع الحضارات القديمة والأساطير عن أن هناك طوفانًا . . وأن هذا الطوفان وقع فى وقت واحد : فى مصر وفى اليونان والعراق وبيرو والمكسيك وحتى فى جرينلاند الجليدية وفى صحراء جوبى ؟ كل ذلك فى وقت واحد ، دون أن تكون هناك أية صلة بين هذه المناطق المتناثرة ؟

ما معنى أن نجد فى الكتاب الهندى القديم « مهابهاراتا » وصفًا دقيقًا لسفن الفضاء ؟ وطائرات نفاثة وطائرات هليوكوبتر وقنابل ذرية وبمنتهى الدقة ؟

لماذا آمنت كل الشعوب القديمة بأنه يمكن تحويل المعادن بعضها إلى بعض ، ثم تحويلها إلى ذهب ؟

كيف نجد قصصًا عن أمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية قبل اكتشافها بألوف السنين ؟

هل يمكن أن نقول إن واحدًا اسمه توت أو تحوت هو الذى نزل على أرض مصر وعلم الفراعنة كل الفنون وكل العلوم ؟

هل هو نفسه الذى يسميه الإغريق أورفيوس الذى نزل وعلمهم الموسيقى وأساليب الحكم والفن والطب والعلاج وحدثهم عن حياة بعد الحياة ، وعن حياة على كواكب غير هذه الكواكب ؟

هل هو نفس الأفعى ذات الأجنحة التى نزلت على أرض المكسيك من « طاقة » انفتحت فى السماء ؟

هل هى السمكة التى لها وجه إنسان ونزلت على أهل سومر وتمرغت على شاطئ الخليج العربى ؟ إن ملامح هذه السمكة تشبه بالضبط ملامح رائد الفضاء إذا نزل بملابسه البيضاء على سطح الماء . . ثم كيف أن هذه السمكة قد علمت أهل سومر قوانين الزراعة والصناعة والفن والطب والكتابة والحساب وكان اسمها أو كان اسمه وانيس ؟ هل وانيس هذا واحد من الذين كانوا فى السماء ثم هبطوا إلى الأرض ، ثم عادوا إلى السماء أو إلى الماء عندما انتهت هذه المهمة الرسمية ؟ ومن الذى كلفه بها ؟ ولماذا ؟

وأساطير أمريكا الجنوبية تتحدث عن رجل أبيض نزل من السماء فى ليلة

كلها رعد وبرق . . ولكن هذا الواحد الأبيض كان يمشى على شعاع قد نزل من كوكب الزهرة ومشى على الماء حتى وصل إلى الشاطئ وراح يعلم الناس كل شيء . . هذا الواحد الأبيض اسمه فراكوشا . . ثم إنه اختفى بعد ذلك . .

إن الذى نجده فى كهوف « تسيلى » على حدود ليبيا والجزائر ووصفه العلماء : بأنه واحد من أهل المريخ ، لشيء غريب . . إنه قطعة واحدة من الحجر طولها ستة أمتار ، عليها صورة إنسان طويل عملاق يرتدى خوذة مثل خوذة رواد الفضاء ، ثم إنه يطير . . ما المعنى ؟ ثم تلك الحيوانات الطائرة على جدران كهوف أخرى . . إنها تؤكد أن الصحراء الغربية كانت مليئة بالغابات والحياة . . وهذا من الناحية العلمية صحيح ، وإلا ما كان بترول ، فالبترول هو نتيجة تراكمات حيوانية ونباتية . . ولكن أهم من ذلك أن أهل كهوف قد سجلوا حديثًا فلكيًا . فقد سجلوا أناسًا كانوا هناك ثم عادوا إلى يث لا ندرى . . وتحليل الصخور والألوان على الكهوف يؤكد أن عمرها بعشرات الألوف من السنين . كيف ؟

سؤال مهم جدًا وبسيط جدًا : بماذا نفسر وقوع حوادث متشابهة جدًا فى أماكن مختلفة ومتباعدة من العالم وفى وقت واحد ؟ كيف - على سبيل المثال ط - نفسر ما جاء فى سفر النبى أخنوخ من أنهم حملوه فى إحدى السفن إلى راكب أخرى ؟ وكيف نفسر الملحمة القديمة المسماة « قلقامش » والتى هى رحلة حول الأرض فى إحدى سفن الفضاء .؟ وكيف نفسر ما جاء فى سفر «حزقيال » فى التوراة . . أو ما رآه أشعيا أيضًا ؟

إن الانتقال من مكان إلى مكان تم بوسائل غير معروفة لدينا ليس من العلم ولا من العقل أن نرفض الذى لا نفهمه . ولكن من العلم أن معجزات الأنبياء وكرامات الأولياء والقديسين ليست شيئًا خرافيًا ، وإنما هى تدل على أن هناك

قدرات جسمية أو نفسية لا نعرفها ولا ندرى كيف نعرفها ، ولكنها مقبولة عقلاً . ثم إنه ليس من العلم ولا من العقل أن نرفض الذى لا نفهمه . ولكن العلم يقول لنا يجب أن نحاول الفهم .

أما تفسيرات كل هذه الأمثلة الضخمة التى جاءت فى سطور قليلة وفى ألوف الكتب العلمية ، فكثيرة .

ولكن أيسر التفسيرات : أن هذه الحضارات الإنسانية ليست هى الوحيدة على أرضنا ، فقد كانت قبلها حضارات كثيرة جدًا ، عاشت واختفت لأسباب لا نعرفها ، وتركت آثارها عند بعض الناس ، وجاءت هذه الآثار دليلاً على وجودها .

وتفسير آخر أن هناك حضارات أخرى فى كواكب أخرى . وهذه الحضارات جاءت إلى كوكب الأرض ، وحاولت بشكل ما معاونتنا على حياتنا ، ودفعتنا إلى الأمام . ولأننا لا نشغل مكانًا ممتازًا فى هذا الكون ، تركتنا أو تخلت عنا ، أو ابتعدت عن الأرض وجو الأرض . . وفى كل الكتب القديمة ما يدل على ذلك بصور وأساليب مختلفة .

يقول الفليسوف اليونانى أفلاطون الذى مات فى القرن الثانى قبل الميلاد إنه سمع من الحكيم الإغريقى سلون أن الكهنة المصريين أخبروه أنه كانت هناك حضارات ، وأنه سوف تكون على الأرض حضارات أخرى ، وأنها تولد وتكبر وتموت وتولد من جديد . . إلى الأبد !

أما أكابر علماء الفضاء : كارل ساجان الأمريكى وأجرست الروسى وأوبرت الألمانى ، فيؤكدون أن هناك كائنات أخرى أعقل وأكثر تطورًا ترقب هذه الأرض عن بعد ، ومن وقت طويل . . ولابد أنها زارتها فى عصور سحيقة .

ولابد أن تتذكر من حين إلى حين أننا لسنا شيئًا له قيمة فى هذا الكون ، وأن قيمتنا هذه نستمدها من أنفسنا . . ولكنى أضرب لك مثلاً صغيرًا لتعرف أين نحن وأين أرضنا من هذا الكون : نفرض أن الشمس هذه فى حجم كرة البنج بنج ، وفى هذه الحالة لابد أن تكون الكرة الأرضية فى حجم واحدة من النقط التى على هذه الحروف وأنها تقع على مسافة سبعة أمتار من الشمس . . أما الكوكب بلوتو الذى فى طرف المجموعة الشمسية ، فيجب أن يكون على مدى ٣٠٠ متر . . أما المجموعة المشهورة باسم « بروكسيما سنغورى » ، فيجب أن تكون على مسافة ٢٠٠٠ كيلو متر .

ومن الضرورى أن نتذكر أن (المجرة) أو المجموعة الفلكية الهائلة التى نحن بها ، فيها مائة وخمسون ألف مليون شمس مثل شمسنا هذه . وأن فى الكون كله ألوف الملايين من المجرات !

ولابد أن كل شمس حولها مجموعة من الكواكب تدور حولها ، وأن بعض هذه الكواكب لها توابع - أى أقمار - تدور حولها أيضًا . . ففى الكون ملايين الملايين من الكواكب التى يمكن أن تكون عليها حياة ، وتتطور هذه الحياة إلى ما لا نهاية له من الأحجام والأشكال - وليس من الضرورى أن يكون الإنسان هو الشكل الوحيد للكائن العاقل . . كما أنه ليس من الضرورى أن يكون الصرصار هو الشكل الوحيد للحشرات !

والذى يقول إن شمسنا هى الوحيدة التى حولها كواكب ، كالذى يقول إن زوجته هى وحدها التى تلد . . أو إن رأسه هو الوحيد الذى ينبت به شعر !

إن شيئًا هائلاً قد وقع على أرض وفى غابات وسماء سيبيريا سنة ١٩٠٨ ، فأضاء سماء أوروبا أيامًا ، وأحرق الغابات شهورًا ، وهدم بيوتًا فى كل العواصم السوفيتية . . وقيل : إنه أحد النيازك سقط على الأرض . ولكن

البحث العلمى أكد أنه كان إحدى سفن الفضاء الضخمة التى لم تلمس الأرض وإنما احترقت لخلل أصابها ، فى جو الأرض . .

إن هذا الضوء الباهر والصوت الرهيب والأشجار والأحجار التى تحولت إلى مادة إشعاعية ، كل هذا ما يزال فى بداية الطريق الطويل إلى معرفة من هم هؤلاء الذين يرقبوننا ويزوروننا .

إن د . أحمد فخرى العالم الأثرى المصرى يرى أن الأسرة الرابعة هى من ألغاز التاريخ المصرى القديم ، وأن أحدًا لا يعرف بالضبط لماذا فعل الفراعنة هذا ولم يفعلوا ذلك . . وقد تفاءل د . أحمد فخرى كثيرًا باستخدام الأجهزة الحديثة والأشعة الكونية لمعرفة لغز الحضارة الفرعونية . . ولكن العلماء حائرون مع الفراعنة ومع حضارات أخرى كثيرة . . والسبب هو أننا نجد فى الحضارة آثارًا حيرتنا لحضارات أخرى أكثر تطورًا !

هل بقى شىء عجيب نقوله ؟ نعم كما سنرى . . !!

هاجروا من المريخ
إلى كواكب أخرى

هل حدث على سطح المريخ ما حدث من قبل على سطح هذه الأرض ؟ هل كانت هناك حياة متطورة جدًا ثم اختفت لأسباب لا نعرفها الآن بوضوح ؟

هل كانت هناك على المريخ حضارات رفيعة جدًا ، ثم هربت من الكوكب فى سفن ضخمة جدًا إلى أعماق الفضاء الكونى ؟ ربما . . وهو شيء معقول . (إن روسيا أعلنت رسميًا فى سنة ١٩٦٨ أن أحد مراصدها قد شاهد قبل ذلك بعام فى يوليو ١٩٦٧ سفينة متحركة طولها نصف كيلو متر وسرعتها ١٨ ألف ميل فى الساعة . كما أن مرصدًا فى جنوب روسيا قد سجل الحدث الجليل نفسه) .

إن كوكبًا آخر فى المجموعة الشمسية لم يلق من الحفاوة ، فى الأدب والشعر والأساطير والعلوم ، ما لقيه كوكب المريخ . (ملحوظة : القمر ليس كوكبًا . . إنه تابع لكوكب الأرض) . فقد رأى الأقدمون أن هذا الكوكب أحمر اللون ، وأسموه بالكوكب الأحمر . . وأطلقوا عليه اسم كوكب المريخ أو كوكب مارس إله الحرب عند الإغريق . . وعندما اخترع الإنسان العدسات سددها إلى هذا الكوكب ، وهو يدور حول الشمس وعلى مدى ٢٢٨ مليون كيلو متر منها (الأرض على مسافة ١٤٨ مليون كيلو متر من الشمس) . ورصدوا المريخ عندما

كان يقترب فى مداره من الأرض فيكون على مدى ٣٥ مليون كيلو متر منها كل ١٥ سنة ، آخرها سنة ١٩٧١ . . ولاحظ الفلكيون أن به بقعًا سوداء ، فسروها بأنها مساحات مائية . . ولاحظوا مساحات بيضاء ، فسروها بأنها سحب . ثم كبرت العدسات أمام عيونهم فرأوا شكل المريخ يتغير . . مرة يكون أخضر ومرة يكون أبيض أو أزرق أو أحمر . . وكان تفسير ذلك أنه لابد أن تكون هناك مياه ، وأن تكون هناك مزارع ومواسم للحصاد . . أى أن هناك حياة عاقلة . أى أن المريخ مسكون بكائنات مثلنا ، عاقلة أو أكثر عقلاً وتطورًا . وكان شعور العلماء بأن سكان المريخ لابد أنهم أعظم وأحكم . لماذا ؟ لم يتقدم أحد بتفسير علمى واضح . ويبدو أنه كان يكفى العلماء ـ ولا يزال ـ أن يكون الكائن حيًا على كوكب آخر غير الأرض ، لنراه أعظم وأروع وأحكم ! .

ومن الحقائق التاريخية الغريبة جدًا ، أنه حتى قبل أن يخترع الإنسان العدسات والمراصد ، فإن الأساطير القديمة ومن ألوف السنين كانت تقول إن حول المريخ قمرين يدوران . وهى حقيقة لم نعرفها إلا سنة ١٨٧٧ عندما اكتشفها أحد الفلكيين الأمريكان واسمه هال . . فقد رأينا الفلكى الكبير كيبلر فى القرن السابع عشر قد أعلن أن هناك قمرين حول المريخ . ولكن هذا الفلكى العظيم لم يقدم دليلاً عمليًا مقنعًا ، وإنما اهتدى إلى ذلك من بعض الملاحظات على حركة المريخ نفسه . .

ولكن بعد ذلك وجدنا الكاتب الإنجليزى الساخر سويفت فى كتابه المشهور « رحلات جلفر » يتحدث عن هذين القمرين وقبل اكتشافهما أيضًا ، بل إنه ذهب إلى وصف قطريهما بمنتهى الدقة !! كيف عرف ذلك ؟ بل إنه وصف إحدى الجزر التى مساحتها عشرون كيلومترًا وتدور حول الأرض ، وأهلها يعيشون فى سعادة تامة فيها العدل المطلق والمساواة التامة بين الجميع .

ثم إنه يستبعد أن تكون مثل هذه الجزر السعيدة ، أو الكواكب الهائئة الهادئة ، موجودة فى هذا المكان وحول الكواكب الأخرى . .

بل إن الفليسوف الفرنسى الساخر فولتير قد تحدث عن عمالقة نزلوا على هذه الأرض قادمين من كواكب أخرى ، وأن واحدًا منهم طوله عشرون كيلو مترًا وأن معه قزمًا طوله كيلو متر واحد . . وأن هناك سفنًا هائلة قد نقلتهم من كواكب أخرى ليتفرجوا على هذه « الحشرات العاقلة » ـ أى علينا نحن البشر !

وكان اكتشاف القمرين الصغيرين اللذين يدوران حول المريخ حدثًا جليلاً ، وقد أطلق على أقربهما إلى المريخ اسم فوبوس أى الخوف ، وأطلق على الثانى اسم ديموس أى الرعب . وفوبوس وديموس هما الحصانان اللذان كانا يجران عربة إله الحرب ، فى الأساطير القديمة !

ولكن اكتشافًا آخر قد هز العالم كله ، فاتجهت العيون إلى المريخ ، واتجهت القلوب أيضًا . فالعالم الفلكى الإيطالى سكياريللى لاحظ وجود « قنوات » على سطح المريخ ، وأكد للعالم أن هذه قنوات من صنع كائنات عاقلة ، أى أنها ليست أنهارًا ولا بحيرات ، وإنما هى خطوط هندسية دقيقة ومنظمة جدًا . . وحدد اتجاهها وتعامدها على خط استواء المريخ وعلى خط محوره . وجاء الاكتشاف دليلاً جديدًا مقنعًا على أن فى المريخ حياة عاقلة ، وهى حياة لم يبلغها الإنسان ، ومن الصعب عليه ذلك . .

ومن الطبيعى أن يثور رجال الدين ويشككون فى العلم الذى يقول لهم إن هناك كائنات أخرى وعوالم لا حصر لها ، وإن الإنسان ليس هو الملك المتربع على عرش الكون . . أو هو الطفل المدلل النائم على صدر ماما ـ وماما هى الكون أو هى القدرة الإلهية التى لا حد لها فى تنويع أشكال الكائنات العاقلة والكائنات الخارقة والكائنات الحيوانية والنباتية والضئيلة والمجهرية !

وفى يوم ٤ يوليو سنة ١٩٦٥ مرت سفينة الفضاء الأمريكية « مارينر الرابعة» بالقرب من المريخ ، وجاءت النتائج صدمة علمية وفلكية . فالمريخ ليس إلا صحراء جرداء . . فلا قنوات ولا هندسة ولا عبقرية . . إنه هو أيضًا مهجور كالقمر والصحارى الأرضية . ولم تسجل سفينة الفضاء هذه سوى ١٪ من سطح المريخ الذى يبلغ قطره ٦٧٩٠ كيلو مترا (الأرض قطرها ١٢٧٤٢ كيلو مترا) .

وكذلك مرت مارينر التاسعة فى سنتى ٧١ و ١٩٧٢ ، والتقطت صورا للقمر فوبوس . .

وقد أخبرتنا فايكنج الأولى أن جو المريخ به نسبة ضئيلة من الأوكسيجين والنتروجين ، وأن درجة حرارته باردة فى جميع أوقات النهار والليل طبعًا . ففى جو المريخ ٣٪ من النتروجين الضرورى للحياة مع الكربون . أى مع كل ذرتى نتروجين توجد ذرة واحدة من الكربون وغازات أخرى . .

أما جو الأرض ففيه (٧٥٪ أوكسيجين و ٢٣٪ نتروجين) ولكن هل معنى نقص النتروجين والأكسيجين فى جو المريخ أنه لا توجد حياة من أى نوع ؟

هل النتروجين أو الأوكسيجين ضرورى لكى تكون هنا حياة ؟

هل الحرارة نفسها ضرورية للحياة ؟ إن هناك كائنات حية لا عداد لها ليست فى حاجة إلى الأوكسيجين . . فالبكتريا ليست فى حاجة إليه . . كما أن بعض الأعشاب والطحالب تنمو بغزارة تحت الجليد وتحت الصفر بعشرات الدرجات . .

وهذا واضح فى القطب الشمالى وفى قمم الجبال . وقد أجرى العلماء تجارب على البكتريا فى جو يشبه جو المريخ تمامًا من حيث رقة الغلاف الغازى وضعف

الجاذبية وانخفاض درجة الحرارة ونقص نسب النتروجين والغازات الأخرى ، فكان نموها مخيفًا . وهذا النمو يبعث على الخوف حقًا ، لأن هذه البكتريا إذا انتقلت مع سفن الفضاء أو رواد الفضاء مستقبلاً فإن انتشارها المروع كارثة فلكية ! فلو انتقلت هذه الكائنات المجهرية إلى المريخ أو انتقلت منه ، فليس فى وسعنا أن نفعل أمامها شيئًا ، وربما انتهت الحياة على المريخ أو على كواكب أخرى ، سوف نعرف ، بسبب هذه الأوبئة التى حدثت من ملايين السنين !

ثم لماذا لا يصلح جو المريخ لحياة عاقلة أو حياة متطورة من أى نوع ؟ من المؤكد أن المريخ يتلقى إشعاعات كونية مكثفة . ثم إن الغلاف الغازى للمريخ ليس درعًا واقية للأحياء ، مثل الغلاف الأرضى . . ثم إن ضعف جاذبية أرض المريخ ، يجعل من الصعب عليه أن يحتفظ بالماء سائلاً ، ولذلك لابد أن يكون الجليد تحت قشرة المريخ . .

وهذه الانفجارات التى تقع فى داخل الشمس لا يصل منها إلى الأرض إلا واحد على عشرين ألفًا مما يصل إلى المريخ . . وهذا يجعل الحياة صعبة أو مستحيلة فى المريخ !

ولكن مثل هذه العبارة ليست دقيقة ولا علمية ـ لماذا ؟ لأننا نقيس إمكانية الحياة واستحالتها بمقاييس إنسانية ـ أى ما يصلح لنا وما لا يصلح لنا .

ولكن من الذى قال إن الذى يصلح للإنسان هو الذى يصلح لكل الكائنات الأخرى ؟

ومن قال إن الإنسان هو الكائن الوحيد فى هذا الكون ، وإن الذى نعيش عليه ونموت به ، هو الذى تعيش عليه وتموت به الكائنات الأخرى ، التى نعرفها والتى لا نعرفها ؟

مثالان صغيران جدًا : إن الأميبا وهى أصغر التكوينات الهلامية الحية أبدية ـ أى لا تموت مطلقًا مع أنها بداية المخلوقات وأحقرها أيضًا ؟

ثم إن الخنازير لم تقتلها الإشعاعات الذرية التى تتخلف من انفجارات القنابل الذرية الصغيرة فى جزر بكينى !

إن الأديب السويسرى ديرنيات له قصة موضوعها أن هيئة صحية عالمية انزعجت عندما علمت أن هناك مجموعة من الناس قد انعزلوا عن الحضارة واختاروا مستنقعًا وأقاموا حوله . ودرست الهيئة الصحية العالمية الأمراض الصحية والعقلية والوراثية التى لابد أن تكون قد أصابت هؤلاء الناس وسجلوا الجداول لنسب الوفيات والعيوب الخلقية التى تجىء نتيجة للزواج من الأقارب ، ثم وصفوا أنواع الأمراض الخبيثة التى لابد أن تكون قد انتشرت بينهم . . إلى جانب كشف هائل بأسماء الحشرات والديدان والميكروبات التى تعيش وتدور وتخيم على هذه المنطقة المتعفنة . وذهبت البعثة وقد وضع كل واحد منهم كمامة حول أنفه وأخفى يديه فى الجوانتيات ، واتجهوا فى حرص نحو هذه المخلوقات الشاذة المنعزلة . وأول مارأوا : طفل أشقر فى غاية الصحة ، فوقفوا بعيدًا وظنوه مخطوفًا . وفجأة ظهرت من تحت الماء سيدة شقراء . . إنها أمه فى غاية الصحة والجمال . . ثم وجدوا رجلاً ذا شعر أبيض يقفز من فوق شجرة ويرمى بنفسه فى ماء البحيرة ويغسل وجهه ثم يشرب من الماء . . ثم ينقل الماء إلى فم كلبه العطشان . . إلخ .

لقد اكتشفت هيئة الصحة العالمية أن كل معلوماتهم وهمية . . وأن هؤلاء الناس فى صحة جيدة ، رغم أن الظروف كلها ـ بمقاييس الصحة العالمية ـ تؤدى إلى المرض الوبيل والموت المؤكد ، ولكنهم لم يجدوا شيئًا من ذلك !

فمن أدرانا أن الذى نراه صالحًا لنا ، ليس صالحًا لغيرنا ، وأن الذى نراه مميتًا لنا هو مبعث الحياة والانتعاش للآخرين !

وفى سنة ١٩٥٩ ، أعلن عالم سوفيتى جليل اسمه شكولوفسكى نظرية جديدة . هذه النظرية أقامها على ملاحظات منطقية وعلى تفسيرات فلكية . .

فهو قد لاحظ أن القمر « فوبوس » هو أعجب الأقمار التى لا نعرفها فى هذه المجموعة الشمسية ويبلغ عددها واحدًا وثلاثين قمرًا . فهذا القمر فوبوس يدور حول المريخ كل سبع ساعات ، أى ثلاث مرات فى اليوم . وهو بذلك أسرع من دوران المريخ حول محوره وهو يشرق ويغرب مرتين فى اليوم . . وأعجب من ذلك أن مداره دائرى تمامًا . وهذا سلوك ليس له نظير فى كل الكواكب والأقمار التابعة لها . . ثم إن هذا الدوران سريع جدًا . . وأخطر من ذلك أنه قريب جدًا من المريخ .

والعالم الروسى يرى أن هذا الكوكب سريع الدوران لأنه قريب من المريخ ، أو لأنه يزداد اقترابًا . . تمامًا كما يحدث لسفن الفضاء عندما تقترب من الأرض . فجاذبية الأرض تشدها . . فهذا القمر فوبوس والذى قطره عشرة كيلو مترات يدنو بشدة من المريخ . . وأخطر من ذلك أن تحليل انكسارات الضوء على هذا القمر تؤكد أنه أجوف .

ولذلك يرى العالم السوفيتى أن هذين القمرين ليسا إلا سفينتى فضاء ، وأنهما أطلقتا من ملايين السنين ، وأنهما ظلتا تدوران حول المريخ ، وأن هاتين السفينتين تزن كل واحدة منهما بضعة ملايين من الأطنان ، وليس هذا بالوزن الثقيل إذا علمنا أن جاذبية المريخ تساوى واحدًا على مائة من جاذبية الأرض ، ثم إذا عرفنا أيضًا أن سكان المريخ من ملايين السنين كانوا أكثر تطورًا .

يقول شكولوفسكى : إن الفراعنة استطاعوا فى جيل واحد أن يقيمو أكبر

بناء هندسى يزن ألف ألف مليون طن بأيديهم مستخدمين وسائل بسيطة أو وسائل غير معروفة لرفع الأحجار ووضعها بمنتهى الدقة . .

ويقول أيضًا : إن الأهرام إذا كانت لغزًا حتى اليوم ، فإن هذه الأقمار أوضح من الأهرام . . ومن المؤكد أنها محطات مدارية ونقط وثوب إلى كواكب أخرى !

ويقول أيضًا : إن الأهرام التى تتأثر بالحرارة والبرودة والرياح قد استطاعت أن تبقى كما هى ألوف السنين ، وسوف تظل راسخة فى مكانها عشرات الألوف من السنين . . وليس بعيدًا أن تظل السفينتان اللتان تدوران حول المريخ لا تتعرضان لما تتعرض له الأهرامات ، ألوف السنين !

إن هذين القمرين حول المريخ ، ليسا إلا مثل آثار أقدام على طريق طويل .

وقديمًا عندما سخر بعض العلماء من الفلاسفة قالوا : إن الفيلسوف هو الرجل الذى يبحث عن قطة سوداء فى غرفة مظلمة . . فهو يسمعها ولا يراها . .

أما نحن الآن فنرى ولكننا لا نسمع ، وإن كان بعض العلماء يؤكدون أن هناك مراصد تسمع « مواء » هذه القطة التى تبعد عنا ألوف الملايين من السنين الضوئية ، وأننا حاولنا أن نتصل أو نخبرها أننا هنا ، أو أننا هناك لعل شيئًا يحدث أو يعيننا على حل مشاكلنا الأرضية بالقضاء عليها ، أى بالقضاء على المشاكل أو علينا أو على الأرض - كما سنرى !

رسالة من الألومنيوم
إلى سكان الكواكب الأخرى

ضابط شاب يوقظونه كل يوم من فوق إحدى البوارج الأمريكية قائلين : القيامة قامت ! فكان لا يتزعج وإنما يقول : أتمنى لو أكون آخر واحد يموت على هذه الأرض لأعرف ما الذى استطاع أن يحققه الإنسان فى ملايين السنين !

أما الذى كان يتمناه هذا الشاب الأمريكى فرانك دريك ، فهو أن يتم الاتصال بين أهل الأرض وأهل الأراضى الأخرى فى السماء . هذا الشاب فلكى عظيم ، وكان يحلم باليوم الذى يستطيع أن يتصل بأهل السماء ويقول لهم : نحن هنا .

وهو لا يعرف كيف يقولها ، ولا حتى ما الفائدة . . ولكن هذا العالم الشاب أنهى خدمته العسكرية واشتغل بأحد المراصد فى ولاية فرجينيا . وأصدرت الولاية قانونًا هو الأول من نوعه : ممنوع منعًا باتًا استخدام الراديوهات أو محطات الإرسال فى مساحة ألف كيلو متر مربع حول المراصد . . حتى لا تقوم هذه الأجهزة بالتشويش على المرصد الراداري فى المنطقة .

أما الشاب دريك فيرى أنه من المؤكد أن هناك كائنات فى كواكب أخرى . لا جدال فى ذلك . وأن هذه الكائنات أكثر تطورًا . وأنه ليس من المعقول ولا

من المقبول أن يكون سكان كواكب الأرض هم العقلاء الوحيدين فى هذا الكون . وليس من المعقول ولا من المقبول أيضًا أن يكون شكل الكائن العاقل هو بالضبط شكل الإنسان . . فكما اختلفت الحيوانات والحشرات والنباتات والميكروبات ، فلابد أن تختلف أيضًا كل الكائنات العاقلة أو الكائنات العبقرية . . وإن كل الكائنات هى جزء من تاريخ البيئة التى عاشت فيها وقاومتها وتطورت منها وتفوقت على صعوباتها . .

وفى الرابعة من صباح يوم ١٨ أبريل سنة ١٩٦٠ ، قرر العالم الفلكى دريك أن يخبر سكان الكواكب الأخرى أن هناك حضارة على كوكب الأرض . ولذلك قرر أن يضع أذنيه على أقرب النجوم إلينا : نجمة اسمها الفلكى «تاوستى» وهى تبعد عنا إحدى عشرة سنة ضوئية . (السنة الضوئية تبعد عنا بالأميال : ١٨٦ ألف ميل ×٣٦٥ يومًا × ٢٤ ساعة × ٦٠ دقيقة × ٦٠ ثانية) .

وكان هدف دريك أن يستمع عن طريق هذا المرصد إلى الرسائل اللاسلكية بين سكان هذه الكواكب الأخرى . .

وظل يتنصت ويستمع أيامًا كاملة . ولكنه لم يستمع إلى شىء . . فاتجه إلى نجمة أخرى اسمها أبسيلون وفجأة سمع ترددًا عاليًا منتظمًا . وأدهشه ذلك . وعاد ووجه «طبق» المرصد إلى هذه النجمة التى تبعد عنا حوالى عشر سنوات ضوئية . وتلقى نفس التردد العالى المنتظم . . واكتشف بعد ذلك أن هذا الذى تلقاه لم يكن من السموات وإنما كان من كوكب الأرض . . فقد كانت رسائل تبعث بها المخابرات البحرية الأمريكية إلى سفنها فى المحيطات النائية !

وتوقف المشروع الذى أطلق عليه اسم مشروع أوزما ـ هو اسم أميرة بطلة إحدى الروايات الأمريكية ـ وعكف دريك وآخرون على البحث من جديد ، وعلى إلقاء المحاضرات فى الجامعات الأمريكية .

وفي سنة ١٩٦٤ أعلن الروس أن مراصدهم قد سجلت أن طاقة هائلة قد انطلقت فجأة من نجمة معروفة ، اسمها : س . ت ١٠٢ وأن هذه الشحنة كانت هائلة . ولابد أن هذه الطاقة أكبر دليل على وجود اتصالات لاسلكية بعيدة المدى وفي غاية القوة . وبعد مائة يوم عادت هذه الطاقة إلى الانطلاق ، ثم سكنت فجأة .

وقد حدد العلماء بالضبط مصدر هذه الطاقة ، فوجدوا أن مصدرها يبعد عن الأرض حوالي عشرة آلاف مليون سنة ضوئية .

ويعني ذلك أن هذه الطاقة التي وصلت إلى الأرض في سنة ١٩٦٤ قد انطلقت قبل ذلك بألوف الملايين من السنين ، أي قبل أن يكون لكوكب الأرض أي وجود .

ولم ييأس العالم الأمريكي دريك فعاد يجدد في مشروع « أوزما » . .

ومن المعروف أن دريك إذا تلقى ردًا مباشرًا من أي كوكب يدور حول نجمة « أبسيلون » فسوف يقطع المسافة بيننا في اثنين وعشرين عامًا !

وقرر دريك أن يقول لسكان هذه الكواكب من نحن وماذا نعمل وما شكلنا وأين نحن . وقرر أن يبعث برسالة لاسلكية مكونة من شرطة ودائرة . . تمامًا كالتي تستخدم في العقول الإلكترونية . واختار أن تجيء في ٤١ شرطة ودائرة في ٣١ سطرًا ، وأن يجعل هذه المخطوطة القصيرة والدوائر شكلاً واضحًا : رجل وامرأة . أي أننا من ذكر وأنثى . وأننا حيوانات ثديية . وأن تكون هناك دائرة تدل على الشمس . ودائرة أخرى تدل على كوكب الأرض . . وأن يكون هناك خط متعرج يدل على وجود ماء . وتحت الماء يوجد سمك . . أي أن هناك حياة بحرية . . وعلامات أيضًا لذرات الهيدروجين والكربون والأكسيجين ليوضح أن هذا هو الأساس الكيميائي للحياة على الأرض .

ووجد دريك أن المشكلة كبيرة إذ كيف يحاول التفاهم مع حضارات أخرى ليست بيننا وبينها أية لغة أو رموز يمكن التفاهم بمقتضاها . ولكنه أراد أن يبين عن طريق انتظام الأشكال وانتظام موجات الإرسال أن هناك عقلاً وأن هذا العقل هو القادر على الإرسال والاتصال . .

وقال دريك : المصيبة التى أمامنا أنه ليس لهذا الكون « حجر رشيد » نقشت عليه المفردات فى لغات مختلفة . . والذى استطاع شامبليون العالم الفرنسى عن طريق قراءة هذا الحجر أن يعرف أسرار اللغة الفرعونية . فلا يوجد شىء فى هذا الكون يدلنا على هذا الذى نوقن من وجوده بعيدًا عنا ، ولكن لا ندرى كيف نلمسه . . وبلغت عدساته أو موجاته إلى وجودنا على الأرض . . وهذه الأرض هى واحدة من تسعة كواكب تدور حول نجمة اسمها الشمس . . وفى هذا الكون مليار مليار مليار مليار نجمة مثلها . !

إن العالم الفلكى دريك هو صاحب أول محاولة علمية للاتصال بسكان الكواكب الأخرى . أما الذى رواه لنا العالم الروحى كيس فهو إحدى معضلات القرن العشرين والقرون التالية . . فهذا الرجل ، وأمام عدد من كبار العلماء فى الطب والفلك ، استطاع أن يصف كوكب المريخ وأن يصف تربته ودرجة حرارته والكائنات الصغيرة والكبيرة ، وأن يعرف كثافة التربة وجاذبية أرض المريخ وطبيعة القمرين اللذين يدوران حوله . .

(سوف نروى قصة هذا الرجل فى سلسلة أخرى فيما بعد إن شاء الله) .

وهذا الرجل كيس هو المواطن الأمريكى الوحيد الذى سمحت له نقابة الأطباء بأن يعالج المرضى وأن يشخص مرضهم ويركب عقاقيرهم ، ولم يكن طبيبًا . وسبب ذلك أن لديه قدرات خارقة على التشخيص والعلاج وأنه ـ كما يقول تقرير نقابة الأطباء ـ على « صلة ما » غريبة بأطباء عظماء لا نعرفهم وهو

يقول إنهم من كواكب أخرى . . وإنه وحده القادر على أن يتصل بهم . . إننا أمام طبيب بارع جدًّا .

ولا نعرف كيف ؟

وقبل ذلك جاء فى التوراة فى سفر حزقيال كيف أن سكان الكواكب الأخرى قد نزلوا فى إحدى سفن الفضاء أمام عينيه بالقرب من بغداد . . ثم وصف لنا ذلك . .

وبعد ذلك جاء فى « سفر أخنوخ » كيف أن أخنوخ كان نائمًا وجاء اثنان ، لكل منهما وجه كالبشر وعينان من نار ، وشفاههما ملتهبة ، وملابسهما من الريش أو كالريش . وقدماهما قرمزيتان . ولهما أجنحة من ذهب يتوهج . ويداهما أكثر بياضًا من الثلج . . وطلبا إليه أن ينهض فالله قد أرسلهما إليه .

ونهض معهما . وركب إحدى السحب . ورأى الأرض صغيرة . ورأى الكواكب الأخرى والسماوات السبع . ورأى كائنات هى خليط هائل من الإنسان والحيوانات والنبات . .

ويروى العالم الفلكى الكبير كارل ساجان أنه يتذكر قصة قديمة رواها برسبوس الذى توفى عام ٢٨٠ قبل الميلاد ، يقول : إن أهل ما بين دجلة والفرات كانوا متخلفين تمامًا ، إلى أن جاءتهم سمكة خرجت من الماء لها ذيل ولها قدمان ! ولها رأس سمكة وتحتها رأس إنسان . وكانت تتكلم . وهى التى علمت الناس الزراعة والهندسة والبناء والبيوت والنظر إلى السماء . . واختفت هذه السمكة فى الماء . ولم يعد أحد يدرى بها !

وفى التاريخ كله ألوف الأدلة على أن سكان الكواكب الأخرى حاولوا ونزلوا وتركوا آثارهم على الصخور وفى حياة الناس . .

وحاول علماء الروح أن يعرفوا ماذا فى السماء وما وراء النجوم .

وحاول الفلكيون . وبدخولنا عصر الفضاء فإننا نواصل المحاولة .

وقد أصدر عالم النفس الكبير كارل يونج بحثًا يطلب فيه إلى رجال الفلك أن يكفوا عن الاتصال بالحضارات الأخرى . لماذا ؟

يقول العالم تلنفس كارل يونج : إننى أخاف على الإنسان أن يفقد روح المغامرة . أن يفقد طموحه . أن يفقد شيئًا غاليًا هو الأمل . . لأننا إذا عرفنا أن هناك حضارات أخرى أكبر وأعظم وأكثر تطورًا وأننا متخلفون تسرب إلينا اليأس . وهذا ما يصيب الشعوب النامية عندما تقارن بين الذى بلغته وبين الذى وصلت إليه أمريكا وغيرها من الدول الصناعية الكبرى . . فيأيها العلماء لا تجردوا الإنسانية من الأمل !

وفى مؤتمر عقد فى لندن سنة ١٩٦٨ تساءل العلماء إن كانت هناك فائدة يجنيها الإنسان من هذا الاتصال . . ألا يوجد خوف علينا من الحضارات الأخرى ؟ إن فى استطاعة أية حضارة متقدمة أن تسلط على أرضنا شعاعات الموت فتختفى الأرض ومن عليها . . ألا يمكن أن تنظر إلينا الحضارة الأخرى على أننا كائنات حيوانية متخلفة ؟ تمامًا كما ننظر إلى الفئران أو الخنافس ؟ إن المستعمرين البيض كانوا يفعلون الشىء نفسه مع البدائيين الزنوج . . كانوا يبيدونهم لأنهم متخلفون مع أنهم بشر ، وكل ما هناك من فوارق هو أن البيض أتيحت لهم الفرصة فى البيئة والموارد ووحدة التاريخ ، وهو بالضبط ما لم يعرفه السود !

وربما كان العالم الأمريكى بنيامين فرانكلين هو أكثر العلماء تفاؤلاً وإيمانًا بقدرة العقل البشرى . . ففى سنة ١٧٨٠ ، أرسل خطابًا إلى يوسف بريستلى

الذى اكتشف الأوكسيجين يقول له : سوف يصبح الإنسان قادرًا على التغلب على الجاذبية . . وهنا تخف حركته ، وتزداد قدرته ، وتقل متاعبه فى الزراعة والصناعة ، وسوف يصبح أقدر على الحركة بين جوانب السماء . ومن يدرى ربما عرف الإنسان حضارات أخرى أعظم وأروع . . وهنا فقط يدرك الإنسان بوضوح ما معنى هذا الكائن الذى نسميه الإنسان . إن الإنسان عبقرى ولكنه ليس العبقرى الوحيد . قد يكون الإنسان دليلا على عظمة الله ، ولكن عظمة الله مستحيل أن تقف عند حدود الإنسان !

والأدباء والشعراء كانوا أسبق من العلماء فى تخيل الحياة على الكواكب الأخرى . . ولكن خيال الأدباء كان مستمدًا من طموح العقل الإنسانى ، ومستندًا إلى ما جاء فى الكتب القديمة الدينية والأسطورة أيضًا .

ففى كل الكتب القديمة صفحات عن سفن الفضاء وعن الهليوكبتر النفاثة التى لم يخترعها الإنسان بعد . . وعن الكرات النارية التى دارت فى السماء فوق أهرامات الجيزة وفوق باريس القديمة . . وفوق الغابات فى أواسط إفريقيا نزل منها أناس تركوا نقوشًا على الكهوف بألوانها . . أرادوا أن يقولوا لنا شيئًا . . وقالوا ولم نفهم إلا أخيرًا جدًا . .

ومن بين الأدباء الخالين الكاتب الفرنسى جيل فين الذى استطاع بذكائه وبصيرته أن يحدد بالضبط وقبل مائة عام شكل سفن الفضاء وطولها وعرضها وأماكن إطلاقها !

وقد قابلت ثلاثة من رواد رحلة « أبولو ـ سيوز » هنا فى القاهرة وحكوا لى عن دهشتهم عندما قرءوا روايات جيل فين . قال لى واحد : كأنه كان معنا . . إنه يصف كل شىء كأنه واحد منا بالضبط .

والكاتب الإنجليزى هـ.ج. ويلز فى روايته « حرب العوالم » هو الذى أصاب بالرعب كل سكان الأرض . فهو يرى أن سكان المريخ وحوش هائلة . وأنهم يكرهون سكان الأرض . وأنهم قد هبطوا عليها ! أو سوف يفعلون ، وأنهم سوف يقضون على الأرض وحضارتها . وقد قامت عشرات الأفلام على هذا المعنى الرهيب !

وفى ٣٠ أكتوبر سنة ١٩٣٨ اجتاح الرعب سكان نيويورك وراحوا يقفزون من النوافذ ويتساقطون على سياراتهم هربًا من سكان المريخ الذين انقضوا على أمريكا . .

ولم يكن مصدر هذا الخوف إلا تمثيلية من إعداد الفنان الكبير أورسون ويلز. هذه التمثيلية مأخوذة من « حرب العوالم » .

وأحس أورسون ويلز أنه نجح نجاحًا لا مثيل له ، فقد صدقه الناس ، ولكن الحقيقة أن هناك خوفًا عميقًا فى وجدان الناس . فالإنسان عدو لكل ما يجهله . ونحن لا نعرف بالضبط مدى قدرة عقلاء الحضارات الأخرى ، فهل نكف عن الاتصال بهم أو محاولة ذلك ؟! لقد تقدم مائتان من علماء الفلك والفيزياء إلى هيئة الفضاء الأمريكية يطلبون ضرورة البحث المستمر من أجل الاتصال بالكواكب الأخرى . . فمن يدرى ربما دفعونا إلى الأمام ، وربما فسرونا لأنفسنا ، وربما اختصروا الإنسانية .

ولذلك فى سنة ١٩٧٢ ، أعاد العلماء فكرة الفلكى فرانك دريك ، فوضعوا فى سفينة الفضاء « بيونير العاشرة » المتجهة إلى كوكب المشترى لوحة نحاسية عليها صورة رجل وامرأة وشمس وخريطة لمواقع الكواكب فى مجموعتنا الشمسية وصورة لتقويم عالمى بسيط . . لعل أحدًا على مدى ٣٠٠ سنة

ضوئية يعرف أين نحن ومن نحن . . وسوف تكتسب هذه السفينة سرعة واستمرارًا بفضل الجاذبيات المختلفة حولها من الفضاء .

* * *

وفى العالم اليوم جمعيات فلكية وروحية قد اتخذت اسم « المريخ » رمزًا لها . . هذه الجمعيات تضم عددًا كبيرًا من العلماء يؤكدون أنهم على صلة بكواكب أخرى . . وأنهم رأوا الذين هبطوا إلينا ثم عادوا إلى كواكبهم . . وأن عددًا منهم يعيش بيننا . . وأن لديهم أسبابًا وجيهة لأن يظلوا فى الخفاء .

وفى الأسبوع الماضى نشرت الصحف فى العالم كله بيانًا صارخًا من «جمعيات المريخ » فى أمريكا يتهم هيئة الفضاء الأمريكية بالكذب على العالم . . لأن هذه الهيئة تعلم أن هناك حياة متطورة فى المريخ . أو كانت هناك ، حضارة متطورة جدًا . . وأن القمرين حول المريخ ، ليسا إلا سفينتى فضاء . . وأنهما نقطتا وثوب وانطلاق إلى كواكب أخرى .

ولم يبق إلا أن أرد على تساؤلات عدد من السادة القراء ـ كما سنرى .

إلى الهرم عن طريق المريخ

إذا لم تكن هذه المقالات قد أثارت خيالك ، وجعلتك تفكر فى أشياء أخرى كثيرة لم تخطر على بالك ، فإننى سأحاول مرة أخرى فى سلسلة مقالات من نوع مختلف . . ولكنها لن تكون بعيدة عن المعنى العام لهذه السلسلة التى تربط الإنسان بالكون . . وتربط الأرض بكواكب أخرى . . وتضع حضارتنا فى سلسلة لا أول لها ولا آخر من حضارات متتابعة . . بعضها من الأرض ، وبعضها هبط إلى الأرض .

والإنسان يحاول الآن أن يذهب إلى الكواكب البعيدة لعله يعرف كوكبه هذا . . فهو يذهب إلى المريخ ليعرف كيف ستكون الحياة بأشكال غريبة عنا . . وفى ذلك توسيع لمجال الرؤية الإنسانية . . فلا تزال نقيس كل شىء بمقاييس الإنسان هو وحده فى هذا الكون . . وكأن مقاييس الإنسان ، هى مقاييس الكائنات الأخرى الأعقل منا . .

ومن أسرار هذا الكون : الإنسان نفسه . فنحن لم نعرف كل ما تحت جلد الإنسان . صحيح أننا نتكيف مع البيئة . . صحيح أننا سيطرنا عليها . . ولكن هل صحيح أننا عرفنا بأى شىء نسيطر على غيرنا ؟ . . ثم كيف نسيطر على غيرنا ولا نسيطر على أنفسنا ؟ . .

إن الإنسان حيوان له كبرياء . . فهو أعقل وأذكى وأكثر خيالا و إبداعا من بقية الحيوانات الأخرى . . ولكنه ليس أذكى وأروع وأقدر مخلوقات الله . . من يدرى ؟

فالإنسان حيوان فريد على هذه الأرض ، لأن الإنسان مجموعة مواهب وقدرات على الإبداع الذى لا ينتهى . .

فالأسبان - مثلاً - عندما نزلوا إلى كاليفورنيا سنة ١٧٦٩ ، وجدوا الهنود الحمر ينتظرون الليالى القمرية ، لكى تقفز الأسماك على الشواطئ الرملية . . فإذا قفزت على الشواطئ راحت الأنثى تغوص فى الرمل بذيلها حتى رأسها ، وتضع بيضها . ويجىء الذكر ويلقح كل البيض . . وبسبب ظهور القمر ، فإن ماء المحيط يرتفع ويزحف إلى الشاطئ ليسترد ملايين الملايين من بيض الأسماك ، وتستأنف الحياة دورتها . .

إن هذه الأسماك وغيرها من الحيوانات الأخرى ، قد تعلمت فى ملايين السنين أن تمشى على (نمط) واحد لا تغيره . هذا النمط هو الغريزة . . أو هو حكمة الطبيعة . أو هو إرادة الله .

ولكن الإنسان ليس سجين البيئة ، ولا عبد الغرائز . إنه قادر على التكيف والتمرد والتسلط على كل الظروف فى كل درجات الحرارة ، وفى الوديان والجبال والصحارى وعلى سطح القمر . .

وتاريخ الإنسان ليس متحفا من الأعمال الجامدة التى تطورت وتوقفت . . ولكنه سلسلة من الأعمال الإبداعية المتكاملة . . أو تاريخ الإنسان هو نهر متجدد المياه . . وعلى شواطئ النهر تقوم مزارع ومصانع ومدارس ومستشفيات ومعارك . . أو التاريخ الإنسانى ليس إلا مسرح الحرية . . أى مسرح التحرر

من الخوف والجوع والمرض والجهل والقهر . . إن حضارة الإنسان هى تاريخ حريته من الإنسان ومن عوامل الطبيعة ومن جاذبية الأرض . .

ولكن دراسة الإنسان والحيوان والنبات ورصد الأفلاك ، قد جعلتنا نغير نظرتنا إلى الإنسان نفسه . .

فلا الأرض مركز الكون ، ولا الإنسان سيد الكون . . وكما أن الأرض قطرة ماء فى محيط ، فكذلك الإنسان قطرة على الأرض التى هى قطرة فى الكون . . إنه رغم عظمته تافه ، وهذا يؤكد عظمة الله القادر على أشياء كثيرة لا نعرف منها إلا القليل . .

إن الإنسان لم يعد ملكًا على عرش الكون ولا حتى على عرش الأرض ، ولا حتى على عرش الحيوان أو الإنسان . .

* * *

قرأت أخيرا كتابًا بعنوان « أسرار الحيوان » من تأليف لورس ميلن وزوجته مارجرى ، يقول الكتاب فى سطوره الأولى : منذ عشرين عامًا فقط ، كنا نؤمن بأن الأسد هو ملك الغابة ، وأنه سيدها وتاج رأسها ، وأنه الذى يهب الحياة لما يشاء من الحيوانات ، ويذل ويعز . . وأنه إذا زأر اهتزت الحيوانات وانسحقت الزواحف ، وتبددت الحشرات . . وأنه ذلك الحيوان الكريم الأبى ، الذى يأكل أطايب الغزلان ، ويترك الباقى لحثالة الحيوانات والطيور الأخرى . . هذه النظرة تغيرت . فالأسد حيوان غجرى . . فهو دائم التنقل فى الغابة ، يبحث عن الطعام . فإذا وجد الجيف قد تكاثرت عليها الصقور والنسور ، أخافها وراح يأكل بقاياها . . ثم إن اللبؤة هى التى تصيد ، وهو الذى يأكل . . إنه يشبه رجال الغجر الذين يلعبون أمام الخيام ، بينما زوجاتهم

ترقص وتسرق وتأتى لهم بالطعام . . وكذلك كان يقال عن الغوريلا : إنها وحش شرس . . ولكن اكتشف العلماء أنها حيوان أليف لا يأكل اللحوم ، وإنما يجمع الثمار وأوراق الشجر ولا تؤذى عصفورًا أو فراشة !

شىء آخر جاء فى هذا الكتاب : أن الإنسان تصور دائمًا أن الحيوانات كائنات منحطة ، أو أن الله عندما خلق الخلق صنع الحيوانات والحشرات . . وكانت مثل « مسودة » سبقت خلق الإنسان . . ولكن العلم الحديث ، يؤكد لنا أن الحشرات لا تقل روعة عن الإنسان . . وأن الإنسان هو أضعف بكثير جدًا من الحشرات والحيوانات . . وأنه لا يقوى على القضاء عليها . . بل إن هذه الحيوانات هى التى سوف ترث الأرض ومن عليها وما عليها . . وإنه فى البدء كانت الحشرات ، وفى النهاية سوف تبقى . .

وخلاصة ما انتهى إليه علماء الحيوان : أن الإنسان لا يعدو أن يكون حيوانًا « ضمن » الحيوانات . لا أكثر ولا أقل ! وأنه ككل الحيوانات والنباتات والحشرات ـ يصارع من أجل أن يبقى . وفى هذا الصراع ومن أجله ، اخترع الإنسان كل وسائل الدفاع والهجوم والوقاية والاستمرار . . وهذا الصراع هو الذى نسميه الحضارة ! فالإنسان حيوان له تاريخ . .

والحشرات والحيوانات ليس لها تاريخ ، لأنه ليس لها ماض ولا حاضر ولا مستقبل ، وإنما هى كما كانت من ملايين السنين وسوف تبقى كذلك . فهى فى حالة استمرار رتيب !

* * *

ولما اكتشف الإنسان أنه ليس وحده ، وأنه لم يكن منعزلاً عن الكون . . وأن اتصالات جرت بين هذه الأرض والعوالم الأخرى فى عصور قديمة . . وأن

أطباقا طائرة دارت حول القارات الخمس فى العشرين عاما الماضية . . أدرك الإنسان أنه ليس هو العقل الوحيد . . ولا المبدع الفريد فى هذا الكون . .

ولما دخل الإنسان عصر الفضاء . . والطيران حول الأرض وإلى القمر والكواكب الأخرى . . راح يفسر من جديد ، وفى أضواء جديدة ، كل قصص الأقدمين . . مثلا :

ما جاء فى « كتاب الموتى » الفرعونى ، وما جاء فى سفر « حزقيال » فى التوراة . .

وما جاء فى سفر « أخنوخ » . . وما ورد فى ملحمة « قلقامش » .

وفى قصص « ألف ليلة وليلة » . . وفى رحلات ابن بطوطة وابن جبير وماركو بولو . .

بل إن فى القرآن الكريم والأحاديث النبوية لآيات أجل وأدق من كل ما جاء فى هذه الكتب القديمة . ولكن . . ولكن بعض رجال الدين لا يتسامحون مع الاجتهاد .

وفى الكتب القديمة والأساطير ، ما يدل بصورة قاطعة على أن كائنات من كواكب أخرى هبطت إلى الأرض . . وفعلت بالناس ومعهم ولهم ما رواه المؤرخ هيرودوت وما رواه الفيلسوف أفلاطون . .

كما أن الكهوف والجدران فى جنوب فرنسا وفيينا وكهوف أستراليا وجنوب الهند وأواسط أفريقيا وفى بيرو فى جزيرة الفصح وفى كهوف تسيلى على حدود ليبيا والجزائر ، أدلة قاطعة على « الحضور » و « الهبوط » والحياة لكائنات أخرى مختلفة عنا وأضخم وأحكم ، قد جاءت وأقامت ، ولأسباب فلكية غير معروفة قد عادت إلى أماكنها النائية فى الفضاء . .

وفى الأسبوع الماضى أصدرت مؤسسة موندا دورى الإيطالية كتابًا فى مجلدين بعنوان « مائة حادثة غيرت التاريخ » . وفى مقدمة هذه الحوادث : اكتشاف كهوف تسيلى فى منطقة جبارين . فمن هذه الكهوف قد نقل العلماء الفرنسيون أكثر من خمسة آلاف رسم ونقش صوروها بالكاميرا ورسموا ألوانها . . ثم نشرها الكاتب الفرنسى هنرى لوت فى كتاب بعنوان « لوحات تسيلى ـ قصة لوحات كهوف الصحراء الكبرى قبل التاريخ » . وقد ترجمه إلى العربية الأديب العراقى أنيس زكى حسن ونشره سنة ١٩٦٧ . هذه اللوحات تعد علامة هامة فى الطريق الطويل بين ماضينا السحيق ومستقبلنا القريب جدًّا : فعلى الكهوف صور لسيدات بالمايوهات وصورة لسيدة شقراء عملاقة . . وصورة لعمالقة قد ارتدوا خوذات شفافة مثل رواد الفضاء تماما .

هذه النقوش تؤكد أن الصحراء الغربية كانت مغطاة بالغابات ومليئة بالوحوش والمياه والمهن والصناعة وبخاصة صناعة المواد الكيمياوية . فهذه الصورة الملونة رائعة رغم حرارة الصحراء التى لا يقوى على احتمالها إنسان أو حيوان .

ثم إن تحليل هذه النقوش يؤكد أنها رسمت قبل حضارة الإنسان هذه بعشرين ألف سنة . . وأن هذه الكائنات البشرية أو الكائنات العاقلة وكذلك الحيوانات والأسماك غير معروفة لدينا الآن . .

أما كهوف تسيلى هذه فهى ، نقطة تحول هائلة فى مسار حضارة الإنسان وربطها بالحضارات الأخرى . . وقد اتخذها العلماء أكبر دليل على وجود كائنات أخرى على الأرض . . ثم اختفاؤها بعد ذلك ، وإن كانت فى فرنسا وأمريكا وبريطانيا هيئات علمية ودينية تؤكد أن هذه الكائنات لم تختف . وإنما

هى قد اتخذت صورًا وأشكالا بشرية وحيوانية ونباتية ، وأنه أمكن التفاهم معها؟!

وفى كتاب صدر فى الشهر الماضى بعنوان : « ضيف بلا دعوة » للكاتب الأمريكى جيمس بيلوك يقول فى فصل تحت عنوان « . . إلا الهرم الأكبر » : انكشفت لنا أسرار كثيرة . ولكن عظمة الهرم الأكبر لا تزال لغزًا محيرًا . إن حكماء مصر هم قمة العلم فى كل العصور . إن أحدًا لا يعرف كيف اتسعت معارفهم فى الطبيعة والكيمياء والطب والفلك . . ولا كيف عرف كهنتهم أسرار الكون والحياة فى الكواكب الأخرى والقارات الخارقة . . إن النظر إلى معبد أبى سمبل يجعل أكثر العقول عظمة متواضعا أمام هذا الشموخ الذى تحدى الزمن ، ولا يزال يتحدى . .

(فى اللغة العربية الفصحى يقال عن الضيف الذى لم يدعه أحد : ضَيفَن . وعلى ذلك فعنوان الكتاب إذا أردت الدقة والغموض معا ، هو الضَّيْفَن والمقصود طبعا أن الذين هبطوا إلى الأرض كانوا ضيوفًا عليها دون أن يدعوهم أحد إلى ذلك) .

وفى فصل آخر يقول كوليك : وقابلت المؤلف الفرنسى روبير شارو ، الذى أصدر عشرة كتب عن الذين هبطوا ثم عادوا إلى السماء . . قال لى شارو : إننى اهتديت إلى بدايات غريبة ، كلها تؤدى إلى أهرام الجيزة . . وكأنما أراد حكماء مصر القديمة أن يكون لهم ولمصر حضور أبدى فى كل فروع العلم والمعرفة .

ويقول كوليك أيضا : . . ثم إننى التقيت بالمؤلف الألمانى إيريش فون دينكن الذى باع من كتبه السبعة أربعين مليون نسخة . وسألته إن كان لديه شىء يقوله . قال : سوف أؤلف كتابا عن أخناتون ، ذلك الملك النبى . .

ذلك العبقرى المريض الذى عالجه الأطباء المصريون ، فأصابوه بخلل فى غدده ، وكان من نتيجة ذلك أن أصبح له نهدان وردفان ، وكان هذا التشويه أكبر دليل على معرفة أطباء مصر بالهرمونات . . وعلى تآمرهم على الملك أيضًا ؛ لأن هذا الملك كان يملك من العلم والحكمة ما لم يعرفه أحد . . وأن هذا الملك على صلة بسكان كواكب أخرى ، هذا يقينى ، وسوف أثبت ذلك !

* * *

فهل إذا لم نجد حياة على المريخ ، كان معنى ذلك فشل كل جهود العلماء؟ هل كان من الضرورى أن يكون شكل الحياة على الكواكب الأخرى ، هو نفس شكل الحياة على هذا الكوكب ؟ هل قدرة الله قد وقفت عند شكل الإنسان فقط ؟ أستغفر الله .

هل صحيح أن القمرين اللذين يدوران حول المريخ ، هما سفينتا فضاء مداريتان ، وأن أهل المريخ قد انطلقوا بعيدًا عنه مهاجرين إلى كواكب أخرى بسبب كارثة فلكية ؟ ـ نظرية روسية حديثة .

هل إذا كان المريخ مهجورًا ، وكذلك كوكب الزهرة والمشترى وعطارد . . ومن بعد ذلك كوكب الأرض ، بسبب التكدس النووى والتلوث الجوى والتسمم المائى والأوبئة فى كل مكان ، هل يمكن أن يقال إن سكان هذه المجموعة الشمسية فى طريقهم إلى الانقراض أو إلى الهجرة ؟ هل يمكن أن يقال إن الأطباق الطائرة التى انتشرت وكثرت فى العشرين عاما الماضية ، كانت نوعا من الإنذار لنا ، حتى لا نهلك أنفسنا بعلمنا ؟ هل أراد سكان الكواكب الأخرى ـ ولكننا لم نفهم ـ أن يحذرونا من المصير الذى لقيته مدينتا سودوم وعمورة ـ على نحو ما جاء فى التوراة وفى القرآن الكريم ؟

وصدق الله العظيم : ﴿ وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ﴾ !

الفهرست

صفحة

صفحة

رقم الإيداع : ٨٩٩٦/١٩٨٩
الترقيم الدولي : ١ ـ ٣٤٧ ـ ١٤٨ ـ ٩٧٧

مطابع الشروق

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصري ـ ت:٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)
بيروت : ص.ب: ٨٠٦٤ ـ هاتف : ٣١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)